تراث العداء الذاتي اليهودي

obeikandl.com

نماذج من تراث العداء الذاتي اليهودي
من خلال ما دونه "يوسف" عن "الحرب اليهودية الأولى"

د. حسين محمد يوسف(*)

من المنطقي أن يكون التقاتل الداخلي بين فئات الشعب الواحد أمرا بغيضاً، وخاصة في مراحله التاريخية المتأخرة بعد أن تكون قوميته قد اتخذت الشكل الكامل لها. وكان من المعتاد أن لا يحدث هذا التقاتل إلا في ظل ظروف استثنائية وفي أضيق الحدود؛ بيد أن مثل هذا السلام الداخلي لم يكن ليدوم للأبد، بل كان من المنطقي أن يمر علي كل أمة حقبة من الزمن تطول أو تقصر، تتأزم خلالها العلاقات بين بعض أو كل فئاتها لسبب أو لآخر.

ولعل مثل هذه الصراعات لم تكن مجهولة في العالم القديم. وعلي سبيل المثال لم يكن للصراع الداخلي مكان كبير في مصر القديمة فلم تكتسب الصراعات القديمة في زمن الفراعنة البعد الطائفي وهي بكل حال لم تزد علي أن تكون صراعا سياسيا من أجل توحيد البلاد اتخذ طابعا عسكريا لفترات قصيرة جدا في عهود الضعف والانقسام، وكانت الكراهية المصرية موجهة دائما ضد الأعداء الخارجيين[1]. وعلي سبيل المثال كان العصر المتأخر من تاريخ مصر القديمة حافلا بالاضطرابات وعدم وجود قوة واحدة تسيطر علي البلاد بكاملها، حيث تنازعت السيطرة علي الحكم العديد من العناصر الأجنبية مثل "الليبيين"، والتي ينتمي إليهم فراعنة الأسرات الثانية والعشرين وحتى الرابعة والعشرين، ثم الأسرة الخامسة والعشرين النوبية، إضافة إلي المرتزقة الذين ازدحمت بهم الجيوش المصرية من عناصر الإغريق، هذا فضلا عن الفرس واليهود[2]. ومفاد القول أن سيطرة هذه العناصر الأجنبية علي أمور البلاد كانت هي الدافع لهذا التقاتل فيما بينها.

ورغم شيوع الحروب الأهلية بين دويلات بلاد اليونان القديمة، فقد كانت حروبا يمليها الواقع الجغرافي والظروف السياسية والاعتبارات التجارية. وكان ارتكاب "أثينا" أو "أسبرطة" لمذبحة هنا أو هناك، مثلما فعلت "أثينا" في مذبحة "موتيليني"، سببا في إثارة جموع الإغريق ضدها. ومما يجسد مدي سمو أخلاقيات الصراع الداخلي بين شعوب الإغريق هو موقف "أسبرطة" الحاسم في نهاية "الحروب البيلوبونيزية، 431ـ404 ق.م." عند استسلام أثينا النهائي وهو الرفض التام لكل مقترحات "كورنثة" بتدمير مدينة أثينا وتسويتها بالأرض وقتل وتهجير واستعباد شعبها وتحريم سكني أرضها من جديد[3].

(*) مدرس بقسم التاريخ ـ كلية الآداب/ جامعة عين شمس.

وقد عاشت روما حالة من السلام الداخلي برغم تعدد الصراعات السياسية والاجتماعية بين قسمي الشعب الروماني الشهيرين، "العامة والأشراف"، ومنذ عام 509 ق.م. لم تحدث حرب داخلية واحدة في روما حتى تفجرت موجة الكراهية والحرب الداخلية بسبب أحداث وظروف شتي معلومة للجميع إبان "تريبيونية" "تيبريوس جراكوس" الثانية في عام 132 ق.م. وكانت دماء "تيبريوس جراكوس" أول دماء رومانية تسفك بيد الرومان منذ طرد الملوك الأجانب. ويروي "بلوتارخوس" أحداث هذه الاضطرابات فيقول: "مات ثلاثمائة رجل آخر (من أتباع "تيبريوس جراكوس")، بواسطة قذائف الأحجار وضربات العصي، ولم يمت أحد منهم أبدا بضربة سيف..... وكان مقتل "تيبريوس جراكوس" هو أول خرق للسلام الروماني الداخلي، والذي انتهي بحمام دم لم يحدث له مثيل منذ طرد الملوك الأجانب"[4]. كما رفض جنود "قيصر" أن يتقاتلوا بعد موته تحت قيادة "أوكتافيانوس" و "أنطونيوس" و "ليبيدوس"، ضد بعضهم بعضا في معركة "موتينا"، واضطروا خلفاء قيصر الثلاثة أن يتحدوا معا لمواجهة عدوهم الحقيقي وهم "رجال الحزب الجمهوري"[5]. وصفوة القول فيما سبق أن التقاتل الداخلي بين الشعوب القديمة كان أمرا بغيضا إلي أقصي حد، ولا يتم إلا في أضيق الحدود.

علي أن المتصفح للتاريخ اليهودي بشكل عام سوف لن يبذل جهدا كبيرا قبل أن يلاحظ الانقسام الشديد الذي كان عليه اليهود طوال مراحل تاريخهم وعدائهم لأنفسهم. وقد استمرت هذه الكراهية عبر العصور المختلفة ورصدها العديد من الكتاب والمفكرين المعاصرين من اليهود وغيرهم. وقد اصطلحوا بشكل عام علي أن يستخدموا عددا من التعبيرات للدلالة علي شيوع هذه الكراهية وهي: "كراهية الذات اليهودية، **Jewish Self-Hatred**" و "العداء اليهودي للسامية، **Jewish Anti-Semitism**" و "العداء اليهودي لليهودية، **Jewish Anti-Judaism**". وتستخدم المصطلحات الثلاث للدلالة علي الكراهية الحادثة بين فئات اليهود المختلفة، بشكل يدل علي كونها معبرة عن ذات المعني دون فارق جوهري فيما بينها[6].

وكان اليهود منذ بداية تاريخهم منقسمين علي أنفسهم كأشد ما يكون الانقسام، ويؤكد ذلك أحداث التنازع والكراهية بين أخوة النبي "يوسف"[7]. وينهض دليلا علي تفشي الكراهية الداخلية اليهودية علي المستوي العام، ما ورد في "التوراة" بشأن تنازع الملك "شاؤل" و النبي "داود" معا بعد أن انتصرا علي الفلسطينيين[8]، فأسس "داود" لنفسه مملكة مستقلة في جنوب بلاد يهوذا[9]، لكنه لم يصمد وسرعان ما هرب تحت وطأة هجمات "شاؤل"، وانضم للفلسطينيين، ولا يلبث أن يعود "داود" في ركاب الجيش الفلسطيني "غازيا" لبلاده. وفي هذا الشأن يقول "آخيش" ملك الفلسطينيين لـ "داود": "لابد أن تنضم إلي الجيش أنت ورجالك لخوض الحرب (ضد اليهود). فأجابه "داود" ستري بعينيك ما يصنع عبدك "داود" في الحرب" فقال "آخيش" لـ "داود": إذن

أجعلك حارسي الشخصي كل الأيام"[10]. وكان لـ "داود" ما أراد فانتصر الفلسطينيون بمساعدة "داود" وصلبوا "شاؤل" وأبنائه[11].

وكان القتال ما بين أبناء النبي "سليمان" سببا في انقسام المملكة إلي دويلتين كل منهما علي طرفي نقيض من الأخرى، الأولي هي مملكة "إسرائيل" الوثنية والتي رفضت حكم "رحيعام" بن "سليمان"، فخرج عليه عشرة من قبائل اليهود الأثنى عشر، وكونوا هذه الدولة، والتي صارت فيما بعد تعبد الرب المصري "العجل أبيس"، إلي جانب عبادة الرب "يهوه"[12]، و لذلك غادر اليهود المتدينون دولة "إسرائيل الوثنية إلي دولة "يهوذا" المؤمنة وهي التي ضمت القبيلتين الباقيتين "يهوذا" و"بنيامين"، لكنها لم تلبث أن عانت بدورها من الفرقة التي دبت بين أبنائها عندما انقسموا إلي فئتين مختلفتين هما "الركابيين" وهم زهاد متدينون، والثانية وهم "نذريم" وهم من نذروا أنفسهم للرب[13]. والطريف أنه منذ البداية كانت دولة "يهوذا" "المتدينة" دولة فقيرة، بينما تركز الغني والثروة في دولة إسرائيل الوثنية. وكان هذا التحول البَيْنْ من قسم لا يستهان به من اليهود نحو العقائد الوثنية سببا في اللعنات المتعددة التي يصبها الرب "يهوه" وأنبياء اليهود علي الكفرة من شعبهم بصورة تكررت كثيرا في العهد القديم حتى صارت أرثا شائعا في تاريخ اليهود، ومعبرا عن انقسام له أبعاد دينية لم تلبث أن تجسدت في أبعاد "اقتصادية" تفصل ما بين فريقين من شعب واحد "شق فقير متدين حسب مفهوم هؤلاء للتدين- وشق وثني غني[14].

وكان من الطبيعي أن يثور النزاع ما بين المعتدلين و المتشددين في العصر الهيلينستي. وفي الحقيقة أن المتشددين من اليهود كانوا محقين في رفض ما أخذ به اليهود المعتدلون من مظاهر التشبه بالهيلينستيين فقد كان هذا الحزب المناصر للسليوقيين يقتبس العادات الهيلينستية في غير تكلف أو تحفظ. وهو ما حدا بفرقائهم من المتشددين إلي أن يحملوا لهم أشد مشاعر العداوة مرارة وهم الذين تشير إليهم الكتابات اليهودية بأنهم "أعداء الله". وربما كانت الهيلينستية بالنسبة لليهودية هي "المرأة الأجنبية الغريبة الملقة الكلام"، التي يذكرها سفر "الأمثال"، ولكن بيتها "يهبط إلي جذور الموت"، وكانت التهم التي وُجهت إلي دعاة الهيلينستية تتركز في إهمالهم لـ "الختان" وأنهم يتصفون بكل النقائص الخلقية التي تنسب عادة في "العهد القديم" للمارقين المرتدين، وكانت خاتمة المطاف أن التهمتين الموجهتين إليهما في عام 169 ق.م. هما أنهم يميلون إلي الألعاب الرياضية الإغريقية التي تشمل عُري الأجساد وأنهم يرتدون القلنسوة اليونانية[15].

وكان أهم ما يساند عدالة قضية المتشددين في كراهية المعتدلين هو حقيقة بسيطة مفادها أن حصول أية يهودي علي جنسية المدن الهيلينستية كان يترتب عليه اشتراكه في تسيير شئون حكم المدينة ودولاب الإدارة القضائية وهو ما كان يحتم الاشتراك في عبادة آلهة المدينة، وهو ما كان يعني ببساطة عند اليهود المروق والكفر[16]. لكن هناك العديد من السقطات التي طالت المتدينين أيضا لعل أبرزها أن اليهود

عندما قالوا أنهم هم أبناء الرب فقد انزلقوا جميعا "المعتدلون منهم والمتشددون" علي حد سواء إلي الكفر. فقد كانوا في ذلك يتشبهون بالشعوب الوثنية والهيلينستية. وقصة الترجمة "الترجمة السبعينية" للتوراة التي جرت في عهد "بطلميوس فيلادلفوس"[17]، إنما تعكس واقعا مؤلما بالنسبة لليهود أنفسهم وهو أن غالبيتهم قد نسوا العبرية ولم يعودوا قادرين علي مطالعة "الكتاب المقدس" بلغتهم الأصلية، وأنهم اندمجوا في الشعوب الأخرى ونسي أكثرهم تراثه وثقافته. ويمكن القول إجمالا أن البغضاء كانت تعتمل ما بين شقي الشعب اليهودي فقد انقسم اليهود قسمين كان كلاهما غاية في التطرف. القسم الأول هو المعروف بـ المعتدلين من الأغنياء الهيللينيين وهؤلاء انطلقوا لينهلوا من معين الهيلينستية وإتباع الوثنية دون تعفف. أما القسم الآخر وهم المتشددون فقد أسرفوا في التمسك بحرفية نصوص التوراة دون تبصر. وكان أن رأي المعتدلون أن المتشددين يفسدون عليهم دنياهم، بينما رأي المتشددون أن المعتدلين يفسدون عليه أُخراهم.

"يوسيفوس": بداية ينبغي التعريف بأحد أهم الشخصيات في هذا البحث وهو: "يوسف بن متاتيا المولود في عام 37/ 38م. والمتوفى بعد عام 100 م. وقد سمي بعد منحه الجنسية الرومانية "تيتوس فلافيوس فسباسيان" علي أسم معتقه وهو الإمبراطور "تيتوس فلافيوس فسباسيان، **Titus Flavius Vespasianus**"، وذلك وفقا لأحكام القانون الروماني. وينتمي إلي عائلة غنية من الكهنة الفريسيين ويجري في عروقه دم ملكي من جهة والدته، وقد درس ثلاثة من المذاهب اليهودية "الفريسية والصدوقية والإيسينية"[18]، وأظهر نبوغا منذ الصغر. وفي عام 64 م. ذهب إلي روما بتكليف من الحبر الأعظم ليسعى لعزل البروكراتور الروماني علي "يهوذا"، وتلقي في سبيل ذلك معاونة من "بوبايا، **Poppaea**" زوج "نيرون، و "أليتوروس" الممثل الهزلي المفضل لديه[19]. وتعكس هذه المهمة وجود يهود مؤثرين في داخل عاصمة الإمبراطورية، ويري "محمود السعدني"، أن لهم دورا في إحراق روما ذاتها، ويبرئ "نيرو" من هذه التهمة، وان نفوذهم الراسخ في روما هو الذي جعل مؤرخا شهيرا من كبار رجال الدولة مثل "تاكيتوس" يعزُف عن اتهامهم بحرق المدينة ويسند هذا الفعل إلي فئات غامضة من الناس[20].

وفيما يتصل بالإنتاج العلمي لـ "يوسف"، فمن الثابت أن له عدداً من المؤلفات منها الحرب اليهودية

ç ، **Bello Judaico**، وقد ظهر هذا المؤلف في الفترة ما بين 75ـ79 م. ويقع في سبعة كتب منها كتاب ونصف مقدمة عن اليهود منذ العصر المكابي، وهو المصدر الرئيسي عن موضوع البحث الذي نحن بصدده. بعد ذلك كتب مؤلفه عن تاريخ اليهود " **Antiquitates Judaicae,** "، وقد ظهر في عام 93ـ

94 م. ويضم تاريخ اليهود منذ بدء الخليقة حتى عام 66 م. ويقع في عشرين كتابا، ومن خلال طريقة سرد الأحداث فأنه يُعتقد أن "يوسف" هو الذي ترجم كتابه هذا وغيره إلي اللغة اليونانية. وآخر مؤلفاته هو السيرة الذاتية ويسمي "**Vitae**"، وله أيضا عمل بعنوان "**Contra Apion**"[21].

وقد تحول كتاب يوسف عن الحرب اليهودية إلي جزء من التوراة نفسها، عندما تم ترجمة الكتاب السادس من مؤلفه المعروف باسم "حرب اليهود" إلي السريانية المعروفة بـ "الترجمة البسيطة"، ليصبح هو الجزء الأول من سفر "المكابيين الخامس" وهو أحد الأسفار "الأبوكريفية، **Apocrypha**"[22]، المحذوفة من التوراة في عصر لاحق. وقد اعتمد "يوسف" بصورة أساسية في تدوين الأحداث السابقة من تاريخ اليهود علي مؤرخ أقدم منه هو "نيكولاوس الدمشقي"[23]. وتتضح صعوبة استقراء الحقيقة في شأن "الحرب اليهودية" عندما يتضح أن المصدر الأساسي للأحداث المذكورة خلالها وأحداث حياة "يوسف"، هو "يوسف" نفسه. ويقلل من فرص نقد أعمال يوسف أن هناك عمل مفقود يخص "يوستوس الطبري، **Justus of Tiberias**" – نسبة إلي مدينة طبريةـ حيث لم يتبقى منه سوي شذرات[24]. وتتعاظم أخطاء "يوسف" في كتاب الحرب اليهودية بشكل فج وهو ما يتضح من خلال ترجمة سلسلة "**Penguin**"، والتي يعلق المترجم "وليامسون، **Williamson, G.A**" علي بعض أخطاء "يوسف" فيقول في تعليق علي وصف "يوسف لغني مدن الجليل الشديد: "هل يمكن أن نصدق ذلك!"[25]. ومن خلال وصف أسوار حصون "جمالا"، يعلق المترجم قائلا: "لقد ضرب "يوسف" الطول في 10 و الارتفاع في 5"، كما يبالغ "يوسف" في أرقام الضحايا بشدة، ويمكن للقارئ الكريم الرجوع لتعليقات "وليامسون" التي رصد فيها لهذه الأخطاء الفادحة في طبعة "بنجوين"[26]، أما "زاكيراي" مترجم طبعة "**LCL**" فقد وضع في العام التالي مباشرة لانتهائه من ترجمة أعمال يوسف كتابا عن قصة حياته أودع فيه أرائه وتقييمه لشخص "يوسف" وأعماله[27]، وكان أبرز ما قاله فيه: "أن يوسف علي مر العصور بعد هذا كله كان مكروها من اليهود"[28]. ويوضح اتجاه "يوسف" السياسي أنه كان من المناصرين للرومان، ضد المتشددين اليهود، لكنه كان في عين الوقت نصيرا متشددا للديانة والثقافة اليهودية[29].

وفي الحقيقة أن كتاب الحرب اليهودية هذا قد أثار لغطا واسعا ليس في الزمن المعاصر وحسب بل منذ صدوره. حيث هوجم من عدد من الكتاب والمؤرخين المعاصرين لـ "يوسف"، كان أكثرهم من اليهود، وهو ما يعكس رفض هؤلاء لكثير من الحقائق المغلوطة التي ضمنها "يوسف" في مؤلفه هذا. ولعل الدور المشبوه وخيانة "يوسف" لقضايا وطنه وأمته هو ما أودي به إلي الانزلاق في عدد من الأكاذيب التي تتناقض مع ما كتبه "يوسف" نفسه في سيرته الذاتية كما سوف يتأتى ذكره بعد قليل. وقد دافع "يوسف" نفسه كثيرا عن كتابه هذا في سيرته الذاتية[30]، ضد مناوئيه وأبرزهم "يوستوس ابن يوستوس الطبري"، وذلك في محاورة بديعة مُعبرة ما بين أثنين من المؤرخين يتساجلان ليبين كلا

منهما أنه الأصدق والأكثر إتباعا واحتراما للحقائق التاريخية، وفي هذه المساجلة تخيل "يوسف"، أن "يوستوس" واقفا أمامه وبدأ في ضحد مآخذه علي كتابه وتفنيد مزاعمه، وكان من بين ما قاله: ". . فأنني أود أن أوجه الآن حديثا مختصرا إلي "يوستوس"، الذي دون بدوره كتابا (تاريخيا) عن هذه الأحداث. . وكذلك مؤلفين آخرين أطلقوا الوعود بأنهم يكتبون مؤلفات تاريخية (صادقة)، ولكنهم لم يأبهوا بتوخي الحقيقة إلا لماماً، ولم يحسوا بحمرة الخجل من إتباع الزيف والبهتان سواء بسبب البغضاء والانحياز الأعمى. –ثم يستطرد في موضع لاحق مخاطبا "يوستوس"ـ وإن ما يدفعني إلي الدهشة حقا إزاء صفاقتك هو أنك تجسر علي القول بأن مقالتك (التاريخية) هذه من أفضل الكتب التي تم تدوينها ونشرها في هذا المجال. . . فالحق أنك لم تقم بتدوين تاريخك إلا منذ عشرين عاما خلت، حينما قدر لك أن تحصل علي ما يلزمك من أدلة دقيقة وموثقة من خلال شهود عيان، ولكن حيث أن هؤلاء الشهود لم يعودوا بعد موجودين بين ظهرانينا. . أما أنا فلم أك متخوفا علي مؤلفي التاريخي بنفس طريقتك، لذا فقد قمت بإهداء كتبي إلي الأباطرة قبل أن ينصرم الوقت علي معاينتهم لهذه الأحداث، وذلك لأنني كنت واثقا أنني قد ألتزمت بسرد الأحداث بحذافيرها متوخيا الحقيقة[31]".

ثم يعاير "يوسف" "يوستوس" بسبب تضاؤل دوره في الحرب وغيابه عن أرض يهوذا في العديد من أطوارها. ويؤكد بعد ذلك أن العديد من الملوك والأباطرة قد شهدوا لمؤلفه هذا بالصدق مثل الإمبراطور "تيتوس" والملك "أجريبا الثاني"، وهي شهادات مرفوضة لأن صاحبيها مستفيدين من عمالة "يوسف" للرومان. ويتحتم التوضيح أن "يوستوس" هذا حسبما يشير إليه "يوسف" من حزب المتشددين وعلي ذلك فمن المتوقع أن تكون أرائه مخالفة لآراء "يوسف"، وقد انفعل بما تضمنه كتاب "يوسف عن الحرب اليهودية فوضع مؤلفا خصصه للرد علي أكاذيبه. ومن الغريب أن يبقي "يوستوس" حيا بعد الحرب برغم مناوئته لـ "يوسف" والرومان بل ويؤلف ـ بين آخرين ذكرهم "يوسف ولم يسم غير يوستوسـ كتابا يؤكد علي أن الرومان كانوا هم الطرف المعتدي في الحرب[32]. ويلعب "يوسف" في كتاب الحرب اليهودية دورين، الأول: هو دور الراوي باعتباره مؤلف الكتاب والثاني: هو دور البطل للعديد من الأحداث. بيد أن ظروف تدوينه لهذا الكتاب بعد انتهاء الحرب اليهودية بالفعل تعطيه نظرة استباقية للأحداث وحكم صائب علي الأشخاص ممن خانوه أو ظاهروه، وهذه الرؤية لابد أنها لم تكن متوفرة له بمثل هذا الوضوح واليقين أثناء الحرب ذاتها وإلا لتغيرت الكثير من أحداثها.

ويعد تسمية "يوسف" لعمله باسم "الحرب اليهودية" في حد ذاته تحيزا من جانبه ضد اليهود. فقد كان من المعتاد في العالم القديم تسمية الحرب باسم الطرف المعتدي وهو يتفق مع ما يصادفنا من تسميات مثل "الحروب الفارسية" و "الحروب البيلوبونيزية" والعديد من الحروب الأخرى التي خاضها الرومان مثل "الحروب البونية" والمقدونية وغيرها، وهي تسميات وضعها المنتصرون أو من

كتب تاريخ هذه الحروب ليلقوا بتبعة العدوان فيها علي أعدائهم. وبدءا من الأسطر الأولي[33]، فأن "يوسف" يؤكد علي أنه يترجم كتابه هذا إلي اللغة اليونانية من أجل الإمبراطور، وليوضح للجميع عدالة قضية اليهود، وهو يبرئ "فسباسيان" و "تيتوس" من دماء اليهود وتدمير "أورشليم والهيكل المقدس، ويلقي بعبء هذه التهمة علي كاهل المتطرفين من زعماء اليهود. ويؤكد أن "تيتوس" قد أجل اقتحام "أورشليم" عدة مرات شفقة منه علي الأطفال والعجزة من اليهود المحاصرين داخل المدينة[34].

إرهاصات الحرب: وتعود بداية النزاع ما بين اليهود والرومان إلي غيرة الإغريق من أهل "سورية" و "فلسطين" من اليهود وذلك بسبب المركز الممتاز الذي كانوا يحوزون عليه من حيث الإعفاء من الخدمة العسكرية ولكونهم غير ملزمين بتقديم شعائر العبادة لتمثال الإمبراطور. في الوقت عينه، كان اليهود يعانون من وطأة الضرائب التي يفرضها عليهم الرومان، وأرغم هذا الحال الكثير من اليهود علي العيش من اللصوصية. وكان الانقسام الديني اليهودي الداخلي ما بين "الفريسيين" و "الصدوقيين"، هو أحد الأسباب التي زادت من توتر الأمور. وفي عهد "كاليجولا" عندما كان "بوبيليوس بترونيوس، **Publius Petronius**" واليا علي سوريا "39ـ41/ 42 م." حدثت في أنطاكية فتنة أسفرت عن مذبحة بين اليهود[35].

كان بداية الصدام في مدينة "قيصرية"، حيث استوطن اليهود هناك بأعداد كبيرة بحكم كونهم "مقيمين في المدينة وليسوا مواطنين. واكتسبوا وضعا يمكن مقارنته بوضع اليهود في الإسكندرية[36]. وخلال ولاية "البروكراتور" "فيليكس، **Felix**" حدثت المصادمات ما بين اليهود والإغريق، حول الإمتيازات التي يستحوذ عليها كل جانب منهما لكن تبقي تفاصيل النزاع أقل وضوحا[37]. وقبيل نهاية فترة ولاية "فيليكس" فأن الكراهية ما بين الطرفين تحولت لتصبح قتالا مفتوحا في الشوارع كان لليهود فيه اليد العليا. وقرر "فيليكس" ردع اليهود، لكنهم رفضوا أن ينصاعوا له ويخرجون من "الفوروم"، فأطلق عليهم جنده الذين أعادوهم إلي جادة النظام، ثم أختار بنفسه وفدا من الفئتين (اليهود والإغريق) وأرسله إلي روما ليشرح الأمر للإمبراطور، وذلك علي غرار ما حدث في الإسكندرية من قبل[38]. وكان للرشوة التي قدمها الإغريق من أهل "قيصرية" لأحد معاوني "نيرون" الأثر الأكبر في أن ينحاز إلي جانبهم، لكن المشكلة لم يتم حلها، نظرا لأن قرار "نيرون" كان يكرس في النهاية للأمر الواقع في "قيصرية" وزاد من تعقيد المشكلة توافد العديد من اليهود علي المدينة لينضموا إلي بني جنسهم[39].

وفي شهر "أرتيميسيوس" الموافق "مايو" عام 66 م.، ثار نزاع حول قطعة أرض بالقرب من "قيصرية ما بين "سيناجوج يهودي" وبين أحد الإغريق الذي كان يملك أرضا مجاورة رفض بيعها بأية ثمن وسهل عن طريها لباقي الإغريق سد الطريق أمام من يريد دخول السيناجوج، كما منع

البروكراتور "فلوروس، Florus" بعض الشباب اليهودي من وقف بناء المبني. ورغم حصوله من بعض كبار اليهود لرشوة قدرها ثمانية تالنت[40]، إلا أنه لم يفعل شيئا مجديا لصالحهم. وكان اليوم التالي هو "السبت"، وثارت خلاله معركة بسبب سخرية الإغريق من الطقوس اليهودية، وكان الإغريق قد أحسنوا الاستعداد لهذه المشاجرة، وهرب اليهود منهزمين مصطحبين معهم اللفائف التي تحوي التشريعات اليهودية المحفوظة في السيناجوج حفاظا عليها من الأعداء، وأرسلوا إلي "فلوروس" وفدا، يشكوا له مما حدث، ويذكره بالرشوة التي دفعوها له سالفا. لكنه ألقي القبض عليهم بحجة أنهم قد حركوا "لفائف" تحتوي علي القانون من "السيناجوج" وهي تهمة متهالكة، لأن من حق اليهود أن يفعلوا ما يحلوا لهم بممتلكاتهم[41].

لم يكتف "فلوروس" بما حدث لكنه تعمد أن يرسل في هذا الوقت الحرج إلي "أورشليم" يطلب من أهلها مبلغ 17 تالنت من أجل مواجهة نفقات إدارية، كان هذا في الوقت الذي يعاني فيه دافعي الضرائب من فاقة شديدة. وكان من المنطقي أن يري اليهود في ذلك تجنيا عليهم فانطلقوا يسخرون من مطلب "فلوروس" هذا، وخرج بعضهم إلي الشوارع يستجدي المارة مازحا أن يعطوه بعض النقود البرونزية لسد غائلة "فلوروس". وفهم هذا الأخير هذه السخرية فأخذ كتيبة إضافية إلي أورشليم وعندما رفض رؤساء اليهود تقديم من سخروا منه للعقاب أطلق عليهم جنوده لينهبوا أعالي المدينة، لكن الجند تجاوزوا هذا الجزء إلي باقي أرجاء المدينة وانطلقوا يسلبون ويقتلون أهل المدينة ويسبون من يروق لهم، ووضع "فلوروس" البعض منهم في السجن وصلب البعض الآخر ومنهم بعض اليهود ممن يحوزون الجنسية الرومانية من طبقة الفرسان. وصم أذنيه عن رجاء الملكة "بيرنيكي" (المقصودة هنا هي "بيرنيكي الثانية" زوج الملك "هيرود أجريبا الثاني، 17ـ100 م.") [42]، التي تصادف حضورها إلي "أورشليم" لكي تقوم بأداء بعض الطقوس الدينية، والتي كادت أن تلقي مصرعها علي يد الجنود الرومان[43].

بدا موقف الكاهن الأعظم غريبا عندما طلب من أهل المدينة إثبات حسن نواياهم بأن يدفعوا ما طلبه منهم "فلوروس" ويبدوا ترحيبهم أيضاً ويستضيفوا الكتيبتين التي أرسل في طلبهما من "قيصرية" ليساهموا في قمع التمرد اليهودي. وتبدت الحقيقة عندما علم اليهود أن الأمر كله خدعة حيث كان ترحيب اليهود بالكتيبتين عن طريق قذائف الأحجار، وتلقي الجنود الرومان المزيد من قذائف الحجارة من اليهود المتمركزين فوق المنازل وفي الشوارع المزدحمة بالثائرين، فانسحب "فلوروس" إلي "قيصرية" [44]. وأرسل كل من "فلوروس" و "بيرنيكي و "رئيس الطائفة اليهودية" مبعوثا مستقلا إلي "كستيوس جاللوس" والي سوريا ليفصل بينهم جميعا. فأرسل "جاللوس" أحد معاونيه لاستجلاء الأمر، فعرج علي الملك "أجريبا الثاني" [45]، ثم زار والي مصر الجديد "تيبريوس يوليوس الإسكندر" والذي كان رغم وجوده بعيدا علي دراية بكل شئون اليهود.

وتصادف أن كان رئيس طائفة اليهود و الكاهن الأعظم متواجدين لدي "أجريبا" ليقدموا له فروض الولاء. وكان لقاءهما عند "أجريبا" أفضل من لقاءهما في ظل الجو المتوتر في "أورشليم". وحاول "كستيوس" كسب ثقة اليهود من خلال التأكيد لهم علي تعاطفه معهم، وحصل لقاء ذلك علي تأكيد أن عدائهم كان ضد "فلوروس" وليس ضد الرومان[46].

لم يكن اليهود مقتنعين علي أية حال بمدي استجابة "كستيوس" لهم في طلبهم بعزل "فلوروس" فواصلوا ضغوطهم علي "أجريبا" و "الكاهن الأعظم" من أجل إرسال وفد إلي "نيرون" لعزله. وكان الجميع يري أن المصلحة العامة هي أن يتم عزل "فلوروس" فقد وجد "أجريبا" أنه لن يستطيع التصدي للمتشددين وأن أهم خطوة لتدعيم الحزب اليهودي الموالي للرومان هي في تحقيق الهدوء عن طريق عزل هذا البروكراتور. وبدأ "أجريبا" يستقطب الشعب اليهودي إلي جانبه مستخدما زوجه "بيرينيكي الثانية" التي صار لها شعبية ضخمة منذ مواجهتها مع "فلوروس" في "أورشليم". وحاول أن يخذل اليهود عن حرب الرومان وينصحهم في عين الوقت بسداد الضرائب المتأخرة عليهم، حتى يستطيع بعد عزل "فلوروس" أن يحسن من أوضاع البلاد[47]. لكن بعد فترة بسيطة من مغادرة "أجريبا" للبلاد في منتصف عام 66 م. كان جماعة من "السيكاري"، أي "عصابة الخناجر"[48]، بقيادة "مناحم"، يقتحمون قلعة "الماسادا"، ويذبحون حاميتها الرومانية. وفي "أورشليم" أقنع "إليعازر" بن الكاهن الأعظم "أنانياس" (وكان علي العكس من أبيه يساند المتشددين)، القائمين علي الهيكل بعدم قبول القرابين المقدمة من الأجانب، وهو ما كان يعني منع من يريد تقديم الأضاحي لتمثال الإمبراطور، أي هو بمثابة رفض لسلطة الدولة الرومانية[49].

كانت أحداث شهر "يوليو" من صيف عام 66 م. حاسمة، فقد قرر "أنانياس" الكاهن الأعظم الذي تم عزله أن يستخدم القوة لما فشل في إقناع يهود "أورشليم بالعودة إلي الهدوء والكف عن قتال الرومان، وأرسل إلي "أجريبا" و "فلوروس" ليرسلا إليه قوات تسانده، ضد العصاة بقيادة أبنه "إليعازر" الذين يسيطرون علي المعبد وعلي أسفل المدينة. كان "أجريبا" هو الذي أبدي سعادة بتلبية النداء رغبة منه في قمع المتشددين فأرسل ألفي جندي لمساعدة "أنانياس"، لكن بمرور الوقت كان العصيان يزداد قوة خاصة مع دخول جماعات "السيكاري" للمعبد. وكان أن حمل هؤلاء الأخشاب داخلين إلي المدينة في مهرجان حمل الأخشاب، ثم تسللوا إلي أعلي المدينة حيث أضرموا النار في قصر "الحسمونيين" وهو مقر إقامة "أنانياس"، وكذلك أحرقوا الأرشيف العام للمدينة، وهو ما كان يعني احتراق الصكوك التي تثبت الديون ضد الفقراء، وهو ما جعل هؤلاء يتزاحمون لتأييد الثورة[50].

استولي الثائرون علي "أنطونيا، **Antonia**" بعد يومين فقط من الحصار، وذبحوا الحامية الرومانية بها، ثم تواصل قدوم الإمدادات القادمة من عند "مناحم" وجماعة "السيكاري" من قلعة

"الماسادا" ، وهاجمت هذه القوات قصر "هيرود" المتواجد بالقرب من القوات الرومانية الإضافية التي تركها "فلوروس" في "أورشليم" . فرض الثائرون حصارهم علي هذه القوات وقوات "أجريبا" بعد تحصنهم جميعا في قصر الملك "هيرود" ، وبعد استسلام الجميع سمح الثائرون للمعتدلين اليهود ورجال جيش "أجريبا" بالانسحاب، وكان أن تراجعت القوات الرومانية إلي أبراج القصر الواقعة في الجهة الشمالية الغربية، وصمدوا لمدة أحد عشر يوما آخرين، قتل الثائرون خلالها "أنانياس" وأخيه، لكنهم في النهاية سلموا أسلحتهم لمحاصريهم طمعا في الخروج أحياء لكن عملهم هذا لم يثبت جدواه فقد تم ذبحهم هم والحامية الرومانية جميعا، وهو ما كان يعني حربا لا هوادة فيها ضد الرومان[51] .

كان هذا النصر سببا في أن يدور نزاع ما بين "مناحم" الذي حاول أن يستولي علي القيادة من "إليعازر" القائم علي المعبد، والذي قُتل أباه وعمه ومعه العديد من أقاربه قبل قليل علي يد حلفاء "إليعازر"[52] . أعقب هذا الانتصار المزيد من أعمال المقاومة، وسرعان ما سقطت مدينتين أخرتين تابعتين لـ "أجريبا" في يد الثوار هما "سيبروس، **Cypros**" الواقعة بالقرب من "جيريكو" ، حيث تم ذبح الحامية الرومانية بها، ومدينة "ماكيروس، **Macheros**" ، التي رحل عنها الرومان واستولي عليها أهل المدينة أنفسهم[53] . أدي ذلك كله إلي تراجع الحاميات الرومانية عن جميع المدن اليهودية، فقرر اليهود اغتنام الفرصة وطرد الإغريق الموجودين في المدن . تفجرت أعمال القتل أولا في "قيصرية" فقد تم ذبح العديد من الإغريق وفر الكثيرون . وكان ما فعله اليهود من أعمال عنف وقتل في "ديكابوليس، **Decapolis**" –الواقعة قرب "قيصرية- وعلي الساحل الفينيقي من شأنه أن يؤدي إلي تفجر أعمال عنف مضادة نحو اليهود في بقية مدن سوريا[54] .

كان ما حدث بمثابة دافع لكي يقوم "كستيوس جاللوس" بتجميع جيش روماني من 30.000 جندي في أنطاكية، ضم "الفرقة الثانية عشر، **XII Fluminata**" ، و "الفرقة الثالثة، **III Gallica**"[55] ، و "الفرقة الرابعة، **IV Scythica**" ، و "الفرقة الخامسة، **V Macedonica**"[56] . كما أنضم للجيش أيضا عشر وحدات من القوات المساعدة، وعدد كبير جدا من الجنود اليهود قاده الملك "أجريبا" بنفسه ومعه قوات أخري بقيادة أثنين من الملوك العملاء "أنطيوخوس الرابع من كوماجيني، **Antiochus IV of Commagene**" و "سوهايموس من إيميسا، **Sohaemus of Emesa**" . مع حلول شهر سبتمبر اتخذت هذه القوات من مدينة "بطلمية=عكا" قاعدة لها حيث أنضم لها العديد من الراغبين في قتال اليهود من مختلف المدن الإغريقية في سوريا فضلا عن الجند الذين واصلوا الانضمام للجيش طوال مسيره حتى "بطلمية"[57] . كان هذا الجيش أضخم بكثير مما هو مطلوب لفتح بلاد اليهود القليلة الاتساع والسكان . علي الجانب الآخر كان تصاعد نذر الثورة في الجليل سببا في تراجع "جاللوس" إلي "سوريا" ، وقرر إرسال قوة صغيرة لتأمين وصول الإمدادات البحرية له عن طريق احتلال مينا "يافا، **Joppa**"[58] .

أرسل "جاللوس" قائد الفرقة الثانية عشر إلي الجليل، علي رأس قوات رأي أنها كافية لدحر ثورة المدينة، لاقت هذه القوات مقاومة عنيفة من المدافعين عن "سيبفوريس= صفورية، **Sepphores**"، وكان من حسن حظ الرومان أن جنحت بقية مدن الجليل إلي الهدوء، ومع تتابع الهجوم المنظم من قوات الرومان المسلحة تسليحا ثقيلا فقد سقطت "سيبفوريس" ولقي 2.000 من أهلها مصرعهم مقابل 200 روماني[59]. وكان السبب في وصول قوات الرومان دون مقاومة حتى "سيبفوريس"، هو أن اليهود الموالون للرومان والذين كانوا يقبضون علي زمام الأمور حتى هذا الوقت سيطروا علي المدن الأخرى في الجليل وزادوا علي ذلك أن رحبوا بالجيش الروماني، أما باقي المتشددين فقد اضطروا إلي الهرب إلي الجبال القريبة وسرعان ما تم تعقبهم والقبض عليهم[60].

كانت المهمة اليسيرة في الجليل سببا في أن يقرر "جاللوس" توجيه جل جهده للقضاء علي مركز الثورة في "أورشليم". في منتصف أكتوبر 66 م. عسكر "جاللوس" عند مدينة "بيت هارون،" بالقرب من الجهة الشمالية الغربية للمدينة، وكان اليهود منشغلين بالاحتفال بأحد الأعياد، فأخذهم الرومان علي حين غرة، وركبوا أعالي التلال من حولهم وأغلقوا الطرق. بعد مرور ثلاثة أيام من الحصار، أرسل "أَجريبا" عارضا السلام وبعد أحد عشرة ساعة من التفاوض، أرسل مبعوثين للثوار مع عرض من "جاللوس" بالعفو عن الثوار إذا استسلموا، لكن كان رد الثائرين هو قتل أحد المبعوثين وجرح الآخر دون أن يدعوهم ينطقون بكلمة واحدة[61].

كان تفرق اليهود داخل "أورشليم" ما بين مؤيد ومعارض للرومان سببا في دفع "جاللوس" إلي الهجوم علي المدينة، معتقدا أنه سوف يستولي عليها بسهولة. وبعد مرور ثلاثة أيام ولما لم يستسلم المُحاصرون قام بالاستيلاء علي بلدة "بيزيتا، **Bezetha**" وحرقها. وكان سقوط هذه البلدة بشكل سريع يعود إلي عدم اكتمال بناء سور المدينة الذي بدأوا في إنشاءه في عهد "أجريبا الأول". لكن فجأة وبعد خمسة أيام فقط، عاد "جاللوس" ليتراجع نحو جبل "سكوبوس، **Scopus**". وينعى "يوسف" علي "جاللوس" انسحابه غير المبرر خاصة وأن اليهود الموالون للرومان كانوا علي أتم استعداد لفتح أبواب "أورشليم" له. ويري أن هذا الانسحاب غير المفهوم كان بسبب تقديم اليهود أنفسهم رشوة لـ "جاللوس" لكي يتراجع عن اقتحام المدينة[62]. وبغض النظر عن دوافع انسحاب "جاللوس" وجنوده فقد تجلت كراهية "يوسف" العميقة للمتشددين في أنه كان حزينا لرحيل الرومان دون دخول "أورشليم" ودحر ثورة المتشددين، لأنه رأي في ذلك فشلا لمشيئة الرب في أن ينال المتشددون عقابهم بأيدي الرومان[63].

كان انسحاب "جاللوس" غير المبرر بمثابة كارثة عسكرية فقد كلفه ذلك مقتل 6.000 جندي، بسبب الهجمات المتواصلة علي مؤخرة جيشه التي شنها عليه اليهود بقيادة "إليعازر بن شمعون"، قائد جماعة المتشددين في "أورشليم"، بعد انتصاره علي "مناحم" الذي صار فيما بعد أحد أهم قادة

المقاومة. بعد يومين آخرين وتحت ضغط الحصار اليهودي للرومان أضطر "جاللوس" للتضحية ب 400 جندي تركهم ليوهم اليهود بوجوده من خلالهم ويفر ببقية جيشه[64]. مع حلول الربيع غادر عدد ضخم من اليهود المؤيدين للرومان مدينة "أورشليم" كالفئران التي اعتادت أن تكون أول من يرحل عن السفن الغارقة. بينما كان علي "المتشددين"[65]، أن يقوموا بتشكيل حكومة مستقلة لتدير الحرب، وكان الكهنة لا يزالون يسيطرون علي الأمور ويحظون بالقبول لدي العامة، واتخذوا من التصويت العلني الذي يشهدونه بأنفسهم وسيلة للضغط علي جموع الشعب اليهودي ليمنعونه من رفض انتخابهم. تم انتخاب مجلس من كبار رجال الدين اليهودي، وأُعطي المزيد من السلطات، أما مجلس العامة الذي تم إنشاءه في العصر الملكي واستمر تحت حكم الرومان فقد تم إعادة تكوينه ومنحه سلطات مطلقة[66].

كان من الغريب أن يتخطى المجلس المنتخب عند تعيين الجنرالات للحرب أثنين هما: "إليعازر ابن شمعون وذلك بالرغم من دوره القوي في محاربة "جاللوس"، والثاني وهو "إليعازر بن أنانياس" المشرف علي الهيكل، وتم تعيين الكاهن الأعظم السابق "آناس"، وهو أحد الذين عارضوا السلطات الرومانية في عام 62 م. ولم يكن من بين من حاولوا التوصل لسلام مع الرومان في عام 66 م. ويعتبره "يوسف" بصورة مطلقة من بين حزب أعداء الرومان[67]. وتم تقسيم البلاد إلي ستة قطاعات تحت أمر ستة من الجنرالات كان كل منهم بمثابة حاكم عسكري وكانت الأقسام هي "أدوميا، **Idumaea**" و"بيرايا، **Peraea**"، و "جيركو، **Jericho**"، وأربعة "توبارخيات" في شمال شرق بلاد اليهود والجليل سويا مع "جمالا، **Gamala**"، وجزء في الجنوب ملاصق لمملكة "أجريبا". وكان الجنرال الذي تم اختياره ليقود جبهة الجليل يعد اختيارا غريبا فهو شاب في الثلاثين من العمر تقريبا من الكهنة الفريسيين ومن الحزب المتعاطف مع الرومان وليس لديه أية خبرة عسكرية سابقة وهو المؤرخ "يوسف"[68].

وعن موقفه في هذه الفترة العصيبة يقول "يوسف": "لقد وجدت أن الثورة مشتعلة بالفعل في كل مكان ضد الرومان. فحاولت من جانبي أن أحول ذهن الثائرين إلي اتجاه آخر؛ ولذلك فقد طلبت منهم فورا أن يدركوا وضعهم بين الأمم التي تريد أن تحارب الرومان وأن يدركوا أنهم ليسوا أندادا لهم، ليس في المهارات الحربية وحسب ولكن في حسن توفيقهم. وحذرتهم من التعامل برعونة أو مغادرة بلادهم لكي يهاجموا الرومان، وظننت أنني كسبت عددا كبيرا منهم إلي جانبي حين أفهمتهم أن الحرب قد تنتهي بكارثة بالنسبة لنا، لكن جنونهم كان أكبر من قدرتي علي إقناعهم. وأدركت أن شكوكهم بدأت تتجه نحوي وأنهم قد يفكرون في القبض علي، ولذلك فقد خرجت إلي الفناء الداخلي لمعبد حصن "أنطونيا"، والذي كان بالفعل في أيديهم. وعندما تم قتل مناحم وقواد الجيش فقد صارت البلاد في يد الكهنة الفريسيين. وقد أصبح الجميع في غاية الترقب وأصبحنا بلا حول في

مواجهة الثائرين ولذلك فأنني اقترحت علي الجيش بأننا لا يجب أن نغادر أماكننا ونترك للعدو زمام المبادرة. وبهذا كنت آمل أن لا يمر وقت طويل قبل أن يأتي "كستيوس جاللوس" مع قوات ضخمة ويقمع الثورة"[69]. ولا يدع الاقتباس السابق المأخوذ من السيرة الذاتية التي خطها "يوسف" بنفسه، فرصة للشك في خيانته لقضية اليهود القومية وانحيازه للرومان ضد بني وطنه، أنه في هذا لم يكن بمفرده فهو يتحدث عن موقفه علي اعتبار أنه يعبر عن موقف الكهنة الفريسيين.

تعددت جبهات الصدام مع الرومان ولحق باليهود فشلا ذريعا عند "أسكالون، **Ascalon**" بسبب هجمات الرمان المفاجئة. وعند "ديكابوليس"، فشل "شمعون بن جيوراس"، في التصدي للرومان لكن الموقف كان قد تحول إلي ثورة شاملة ضد الرومان وحتى "سيبفوريس" التي سبق أن رحبت بالرومان فقد أعلنت العصيان ضدهم. هذا علي حين كون "يوسف" مجلسا من سبعين شخصا من أعيان اليهود لإدارة الإقليم[70]. وكان "يوسف" لا يزال علي موقفه الذي يهدف إلي التظاهر بالاستعداد للحرب وعدم إثارتها أو تعجلها، وهو ما يتضح من خلال إحجامه عن إرسال قوات لوقف مسعى "كستيوس" بإنفاذ ثلاث كتائب إلي "عكا" لتمنعه من دخول "الجليل" أن يهاجم "كستيوس" مع أن قواته كانت أكثر عددا بكثير[71]. ويظهر تعاون "يوسف" مع المتشددين بهدف تثبيطهم من خلال تعامله مع "يوحنا بن لاوي" الشهير بـ "جون من جيسخالا"، وهو زعيم جماعة من المتشددين عددهم حوالي أربعمائة شخص، حاول أن يجعل من "طبرية"، مركزا للثورة ضد الرومان، لكن ميل أهل المدينة إلي جانب "أجريبا" لم يمكنه من ذلك، فحاول أن يثير المذابح في "طبرية" قبل أن تأتي قوات "أجريبا" لتطرده مع رجاله من المدينة[72].

ويرسم "يوسف" صورة قاتمة لـ "يوحنا بن لاوي" فيروي أنه بينما كان الجميع منشغلين بالحرب، حرص "يوحنا" -الذي كان مفلسا- علي أن يقنع "يوسف"، بأن يسمح له بإعادة بناء حوائط مدينته وبذلك استطاع تكوين ثروة من وراء هذا العمل[73]. ثم طلب –بوازع ديني مُصطنع- أن ينقذ اليهود في سوريا من استعمال زيت يأتي من مصادر غير يهودية، وأنه سوف يقوم بتسليم الزيت لهم في مدنهم وفرض بذلك سعرا يبلغ 4 دراخمات أتيكية لكل 35 جالون محققا ربحا يبلغ ثمانية أمثال ثمن الزيت في زمن السلم. ونظرا لأن الجليل كانت مشهورة بمحصول الزيتون القادم من بساتينها وكان محصول ذلك العام كبيرا بصورة استثنائية فقد حقق ثروة ضخمة. وهكذا لا يبدو أنه كان هناك فارق كبير بين المعتدلين الذين تخلوا عن أهلهم وأوطانهم ليحافظوا علي السلم من أجل صيانة مصالحهم مع الرومان، وبين بعض المتشددين الذين تاجروا بأقوات الشعب اليهودي في زمن الحرب[74].

ولا يمر وقت طويل قبل أن يجمع "يوحنا بن لاوي" أهل الجليل من حوله مُتهما "يوسف" بأنه خائن ويجب قتله. وذلك بعد أن صار "يوحنا" من ذوي الثروة والنفوذ ورأي أنه يستطيع أن يصبح

حاكم الجليل لو أزاح "يوسف" عن طريقه. بالفعل بدأ "يوحنا" يبث شائعات تقول أن "يوسف" خائن ويريد أن يسلم الجليل للرومان. تزامن مع ذلك أن قام بعض اللصوص من قرية "داباريتثا، **Dabarittha**" التابعة لـ، "بطلميوس" الوزير الأكبر لـ الملك "أجريبا" وزوجه "بيرينيكي" بسرقة كل متاع الملك وكان يشمل مقدارا ضخم من الملابس الغالية ومشغولات فضية و 600 عملة ذهبية وهربوا إلي "يوسف". وكان "أنايوس، **Annaeus**"، المواطن الأول في "تاريخايا، **Tarichaeae**"، ينتوي أن يعيد المسروقات إلي أصحابها في أول فرصة بموافقة من "يوسف". وكان هذا ما دفع هؤلاء اللصوص للتصرف بعصبية وجنون حيث لم يحصلوا علي نصيبهم مما قاموا بسرقته، ورأوا أن "يوسف" سوف يتقرب للملك والملكة من خلال تسليمهم ثمار جهدهم (المسروقات)، فانطلقوا يشيعون أن "يوسف" خائن ويريد تسليم الجليل للرومان. فتجمع أهل المدينة ضده، حتى أن رجال حرسه الخاص هربوا جميعا فيما عدا أربعة منهم، هذا بينما كان هو نفسه نائما ولم يستطع التحرك من مكانه قبل أن يضرم الثائرون النار في المنزل[75]. حاول حراسه الأربعة أن يعجلوا بإنقاذه من وسط هذا الحشد المُعادي، لكنه رفض وكان شديد الهدوء ولم يبد أي خوف، ووسط المشاعر المختلطة خطب في أهل البلدة وأوضح أن "تاريخايا" بلدتهم تحتاج إلي بناء أسوار لها وهو لا يعنيه أن يعيد المسروقات إلي "أجريبا"، لكنه كان يكتم الأمر حتى يبني الأسوار فعلا ليحميهم من غضب "أجريبا" إن شاء أن يسترد أمتعته[76].

أظهر أهل مدينة "تاريخايا" تأييدهم لـ "يوسف" بينما لم يقتنع الغرباء بقوله وترك الفريقان "يوسف" وبدأ كلا منهما يتنازع مع الآخر، ونظرا لضخامة عدد أهل "تاريخايا" ويبلغ 40.000 مواطن وكانوا في صف يوسف، فقد أصدر أوامره بثقة للجميع بأن يلزموا النظام، وأنه سوف يستخدم هذه النقود في تحصين المدن المجاورة والدفاع عنها. لكن 2.000 من المعادين له كانوا لا يزالون غاضبين فهاجموه وحاصروه في منزله. وفي هذا الموقف العصيب أيضا لجأ "يوسف" إلي خدعة أخري، فصعد إلي سطح منزله وأوضح للحشد الغاضب أنه لا يعرف علي وجه اليقين ما الذي يغضب الجميع، ولما بدأ الجميع يتصايحون معا في نفس الوقت، طلب منهم أن يرسلوا وفدا من زعمائهم إلي داخل منزله لكي يعرضوا عليه المشكلة، وعلي ذلك دخل قواد الثائرون إلي المنزل. وما أن دخلوا إلي المنزل حتى فتك بهم "يوسف ومن معه ومزقوا أجسادهم إلي قطع صغيرة. في ذات الوقت كان الحشد المتحلق حول المنزل في الخارج يعتقد أن المفاوضات الشاقة تدور داخل المنزل. انفتح فجأة باب منزل "يوسف" ودفع رجاله الحشد الرابض بجوار الباب وألقوا بأشلاء القادة، فزع الجميع من مظهر الدماء وبلغ الرعب منهم مبلغه حتى ألقوا أسلحتهم وفروا لا يلوون علي شئ[77]. ويظهر التناقض الواضح في هذه الرواية عندما يقول "يوسف" في سيرته الذاتية: أن من دخل إلي منزله لم يكن وفدا بل رجل واحد فقط[78].

"لكن هذا النصر الذي حققه "يوسف" جعل "يوحنا بن لاوي" يزداد غيرة منه ويدبر له مؤامرة أخري. أدعي "يوحنا" المرض وطلب الإذن من "يوسف" بالخروج إلي "طبرية" ليلتمس الشفاء في "حماماتها" الساخنة. . . واستطاع عن طريق رشوة البعض والإقناع أن يدبر ثورة ضد "يوسف" في "طبرية"، لكن "سيلاس" قائد المدينة بمجرد أن علم بالمؤامرة أبلغ "يوسف" علي الفور، فذهب علي وجه السرعة إلي "طبرية" حيث قابله كل أهل المدينة عدا "يوحنا"، الذي أعتذر لـ "يوسف" بأنه مريض وملازم للفراش. بدل "يوحنا" خطته بسرعة وعندما قرر "يوسف" جمع مواطني المدينة في "الإستاديوم" لكي يخبرهم بخيانة "يوحنا"، أرسل هذا الأخير رجالا مسلحين لكي يغتالوا "يوسف". عندما شهر هؤلاء الرجال أسلحتهم لم ينقذ "يوسف" سوي صرخات أهل المدينة فتحرك قبل أن تحز السيوف رقبته وقفز بعيدا إلي بحيرة "طبرية"، هذا بينما تحرك رجاله وقبضوا علي المتآمرين. وليتجنب "يوسف" حربا أهلية أرسل إلي المدن الأخرى يخطرهم بالمؤامرة التي تحاك ضده وبأسماء المتآمرين في كل مدينة دون أن يطلب عقابهم، أما أغلب المتآمرين ومعهم "يوحنا" فقد فروا إلي مدينة "جيسخالا"[79].

كان من شأن المؤامرة الأولي أن بدأ أعداء "يوسف" يراسلون "يوحنا بن لاوي" ويمدونه بالأموال، هذا علي حين خرج الآلاف من أهالي الجليل بأسلحتهم وقد أعلنوا أنهم يريدون أن يسووا حسابا مع "يوحنا" عدو الأمة، وأنهم سوف يحرقونه حيا هو وأي مدينة تستقبله. استحسن "يوسف" ولاء هؤلاء لكنه حاول أن يهدئ من ثائرتهم، وقد اختار أن يعفو عن أعداءه بدلا من أن يقتلهم، وكان من أثر ذلك أن أعلن العديد ممن كانوا يساندون "يوحنا" أنهم سوف يبلغون عنه وعن كل من يتعاون معه ويصادرون أملاكه. ما لبث أن تخلي عن "يوحنا" 3.000 من أتباعه وذهبوا إلي "يوسف" يعلنون ولاءهم ويلقون أسلحتهم عند قدميه، أما الـ 2.000 الباقين وهم من السوريين؟!"[80]، الخارجين عن القانون فقد ظلوا يساندون "يوحنا" سرا حيث قام بمراسلة القادة في "أورشليم" ليخطرهم أن قوة "يوسف" تزداد وأنه سوف يجعل من نفسه ديكتاتورا، وسيغزو "أورشليم" نفسها قريبا[81].

لم يُلق عامة اليهود بالا إلي ما قاله "يوحنا" لكن بعض قادتهم بدأ يرسل الأموال سرا إليه، وذلك لكي يكون قوة من المرتزقة ويحارب "يوسف". ومن جهة أخري فقد أصدروا قرارا يعيد إلي "يوحنا" مركزه العسكري، لكنهم لما كانوا لا يثقون فيه تماما فقد أرسلوا 2.500 رجل مع أربعة من كبار المواطنين، وكلهم كانوا من الخطباء الموهوبين الذين تم إرسالهم لكي ينتقصوا من شعبية "يوسف" لدي العامة[82]. كان الأمر الصادر إلي هؤلاء هو أنه لو أن "يوسف" أطاعهم فسوف يعطونه الفرصة للدفاع عن نفسه، لكنه إن أصر علي البقاء فسوف يعاملون كعدو. وصلت الأنباء إلي "يوسف" أن هناك جيشا في الطريق لكن لم يكن هناك أحد يعلم ما هي نية قادة الجيش فقد كان هذا

سرا بينهم، وعلي ذلك فأن "يوسف" لم يأخذ حذره وبالتالي فقد أربعة مدن سقطت في يد أعداءه وهي مدن "سيبفوريس" و "جمالا" و "جيسخالا" و "طبرية". لكنه سرعان ما استعادها دون أن يستعمل القوة، وسقط القادة الأربعة في يديه، وأعادهم مع معظم جنودهم إلي "أورشليم"، حيث لاقوا هناك استقبالا عدائيا من أكثر أفراد الشعب اليهودي. ومنذ ذلك الوقت ظل "يوحنا" حبيسا داخل أسوار مدينته خوفا من "يوسف"[83].

بعد أيام قليلة ثارت "طبرية" ضد "يوسف" وطلب مواطنوها الانضمام إلي "أجريبا"، وانتظر الثائرون لكن "أجريبا" لم يصل في الموعد المحدد وتصادف مرور قوات رومانية في يوم إغلاق أبواب المدينة في وجه "يوسف". لم يستطع "يوسف" الذي كان في مدينة "تاريخايا" أن يتحرك ضد الثورة في طبرية فقد كان يخشى أن يغادرها فتأتي قوات "أجريبا" لكي تستولي عليها منه. كعادته استعمل "يوسف" الحيلة من جديد فأخذ كل القوارب الموجودة في بحيرة "طبرية" وعددها 230 ووضع في كل واحدة منها أربعة جنود فقط وتركها بعيدة عن المدينة. ذهب "يوسف" بعد ذلك إلي "طبرية" وأظهر وجوده لهم بالقرب من الأسوار وقد ذهب إليهم ومعه سبعة فقط من الحراس غير المسلحين. لما رآه أعدائه من أهل المدينة فقد اعتقدوا أن القوارب الموجودة في البحيرة تغص بالرجال فألقوا أسلحتهم، ورفعوا أغصان الزيتون له علامة السلام. نحي "يوسف" باللائمة علي أهل المدينة لأنهم بعد أن رفعوا أسلحتهم في وجه الرومان فقد ضيعوا قوتهم في صراعات أهلية وأخيرا فأنهم يغلقون أبواب المدينة في وجهه علي حين أنه يريد الدفاع عنهم. ثم استطاع "يوسف" أن يستدرج كبار أهل المدينة لكي يعتذروا له حتى يعفوا عن المدينة، وبذلك أوقع في أسره جميع حكام المدينة وأعضاء السناتو بها ونحو ألفين من خاصة أهلها[84].

ولما أُسقط في أيديهم: "تصايحوا بأن الذي قاد الثورة ضد "يوسف" هو رجل يدعي: "كليتوس" وطلبوا من "يوسف" أن يأخذه ويقتله، لكنه كان راغبا عن قتل أي شخص، لذلك طلب من أحد رجاله وهو "ليفي" أن يكتفي بقطع يدي "كليتوس". كان جند "يوسف" خائفين من الدخول بين حشود جند، فقد تملكه الغضب ودخل بنفسه إلي المدينة (حرفيا قفز إليها) لكي ينفذ هذا الحكم بنفسه علي "كليتوس"، لما رأي "كليتوس" ما حدث فقد رجاه أن يترك له إحدى يديه، فوافق "يوسف"، علي أن يقوم "كليتوس" بنفسه بقطع اليد الأخرى!!، وعلي ذلك صدع "كليتوس" بأمر "يوسف" واستل سيفه بيمناه وقطع يده اليسري، وذلك من فرط رعبه من "يوسف". وهكذا بواسطة سبعة من الجنود وعدد من القوارب المختبئة تم قمع ثورة "طبرية"[85]. ويجدر التعقيب هنا مرة أخري بأن يوسيفوس يروي هذه الحادثة بتفاصيل مختلفة في سيرته الذاتية[86]. وتتكرر معاناة القارئ مع "يوسف" في الاقتباس السابق وذلك بسبب تفرده برواية أخبار الحرب اليهودية فهو يضع نفسه في مفارقة تبعث علي السخرية في صورة البطل المغوار، ويقفز وسط حشود أهل "تاريخاي"

بمفرده، ويقبض علي "كليتوس" الذي لا يحرك ساكنا للدفاع عن نفسه، بل يطلب من "يوسف" استثناءا بسيطا وهو أن يقطع إحدى يديه ويترك له الأخرى، فيطلب منه "يوسف" استثناءا أبسط وهو إعفاء شخصه من القيام بقطع يده لقاء أن يقوم هو بنفسه بهذه المهمة ويُعفي "يوسف" من القيام بهذا العمل، وذلك في متوالية من الحوادث المضحكة التي تستعصي علي التصديق.

هدأت بذلك الأمور في الجليل وعاد الجميع ليهتم بالإعداد للحرب ضد الرومان، وفي "أورشليم" كان "أنانوس" الكاهن الأعظم وكل أعداء روما يستعدون للحرب ويحصنون المدينة. وكان أنانوس يبتغي من الإعداد للحرب بشكل جيد أن يوقف تصاعد قوة ونفوذ المتشددين "المجانين" -علي حد تعبير يوسف-. كان هذا يحدث بينما "شمعون بن جيوراس" قد جمع عصابة كبيرة من الثائرين حوله في توبارخية "أكراباتيني، **Acrabatene**"، حيث اقتحم بيوت الأغنياء وبدا يهينهم بنفسه، وهو ما يدل علي أن ما يقوم به كان هو هدفه الأصلي. وعندما أرسل "أنانوس" قوة ضده فقد فر مع أتباعه إلي قلعة الماسادا، وبقي بها هناك بالرغم من وفاة "أنانوس" وباقي أعدائه، حيث انضم إليه بقية "الأدوميين"[87].

عندما علم "نيرون" بما حدث أخذ الأمور علي غير عادته علي محمل الجد وأرسل أحد رفاقه ليقوم بقمع الثورة بنفسه وهو "تيتوس فسباسيان" وأرسل معه لمساعدته ابنه "ماركوس تيتوس"، وكان "نيرون" يثق في قدرات "فسباسيان" كثيرا، وكذلك في دوره العظيم في قهر أعداء الرومان[88]. وصل "فسباسيان" إلي "أنطاكية" في ربيع عام 67 م. وهناك وجد "أجريبا" ومعه كل جيشه من اليهود في انتظاره. خرج "فسباسيان" علي رأس كل القوات الموجودة من الجيش الروماني واليهودي والمتطوعين من أهل "سوريا" وذهب إلي "بطلمية عكا"، وهناك قوبل بوفد يهودي من أهل مدينة "سيبفوريس"، قدموا له فروض الولاء والاحترام، وهم فقط الذين كانوا يرغبون في السلام مع الرومان، وذلك لكي ينجوا من خطر الحرب ولأن تفوق الرومان كان مستقرا في أذهانهم. وضع "فسباسيان" أحد ضباطه، علي رأس قوة من الجيش الروماني، وذلك استجابة لأهل "سيبفوريس" المتحمسين للقتال في صفوف الجيش الروماني ضد الشعب اليهودي. أرسل معهم "فسباسيان" قوة جيدة من الجنود الرومان، لأنه وجد أن احتلال هذه المدينة وهي أهم مدن الجليل سوف يوفر عليه الكثير من الجهد والدماء في هذه الحرب[89].

سببت النجدة التي بعث بها "فسباسيان" إلي "سيبفوريس" متاعب جمة لـ "يوسف" ولرجاله ولم يستطع أن يصل إلي "سيبفوريس" ليضع يديه عليها أولا قبل الرومان لأنه لم يكن يملك لا القوة ولا الإقناع الكافي لكي يستطيع أن يسيطر عليها. ومن ثم اتخذ الرومان من "سيبفوريس" قاعدة لشن الهجوم علي القرى والمدن المجاورة وهو ما جعل الجليل تشتعل بالنيران وتغرق في بحر من الدماء، ولم يعد للخائفين من ملجأ سوي المدن التي لا تزال تحت سيطرة "يوسف"[90]. من جهة أخري حضر

"تيتوس" من الإسكندرية حيث كان يجمع القوات لأبيه من هناك، وأحضر معه الفرقتين "الخامسة عشر، XV" ، و "بانونيا، Panonia" التي كانت قد قدمت إلي مصر لكي تقوم بجولة لاستكشاف منابع النيل، وهو المشروع الذي لم يتم أبدا ، وأحضر معه 28 كتيبة أخري. . . هذا فضلا عن قوات أمد الرومان بها الملوك الحلفاء مثل الملك "أنطيوخوس أجريبا" و "سوايموس" و "مالخوس= مالك العربي" [92]، وكان هذا يعني أن الجيش الروماني بلغ عدده 60.000 جندي[93]. ينفق بعد ذلك "يوسف" عدة فصول يصف فيها النُظم العسكرية الرومانية ويؤكد علي براعة وانضباط وجودة تسليح جنود الجيش الروماني[94]، وهو الوصف الذي يري "وليامسون" أن به ما يناقض بعض ما هو معروف من أدلة أثرية[95].

يصل "يوسف" إلي قمة التناقض في الأقوال والأفعال في موقفه التالي حيث يصارع ـ علي حد زعمه ـ الرغبة في أن ينجو بنفسه ويستسلم للرومان وبين إخلاصه لبلاده: "لقد رأي أن سلامة اليهود تكمن في أن يغيروا ما بأنفسهم نحو الرومان. أما هو نفسه، فقد كان متأكد أن الجميع سوف يعذرونه إن هو ذهب إلي الرومان وأنضم إليهم. لكنه كان يفضل أن يموت مرة ومرة قبل أن يخون أبناء شعبه ووطنه" [96]. والواقع إن المرء ليُصاب بالحيرة من موقفه هذا، وهو القائل غير مرة واصفا الموقف قبل هزيمة "كستيوس" علي يد اليهود وصعوبة موقفه أمام المتشددين المجانين، وعدم قدرته علي المجاهرة بطوية قلبه التي تمتلئ بالإخلاص والولاء للرومان: "ولذلك فأنني اقترحت علي الجيش بأننا لا يجب أن نغادر أماكننا ونترك للعدو زمام المبادرة. وبهذا كنت آمل أن لا يمر وقت طويل قبل أن يأتي "كستيوس جاللوس" مع قوات ضخمة ويقمع الثورة (اليهودية)" [97].

أرسل "يوسف" إلي "أورشليم" يطلب العون بسبب ضخامة عدد القوات الرومانية، بينما توجه "فسباسيان" إلي "يوتاباتا، Jotapata" ليستولي عليها وذلك نظرا لأهميتها الحربية وضخامة عدد سكانها. ولما علم "يوسف" بذلك ألقي بنفسه ـ علي حد قوله ـ إلي داخل المدينة حيث بث وجوده في أهلها روح الشجاعة بعد أن كانوا مذعورين تغوص قلوبهم في أماكنها. بعد ذلك يضخم "يوسف" من أهميته عندما يذكر أن "فسباسيان"، كان سعيدا للغاية لأنه سوف يحارب "يوتاباتا" ويأسر "يوسف"، لأن ذلك سوف يسهل مهمته في غزو بلاد اليهود[98]. وهو الأمر الذي يؤكد وجود معرفة مُسبقة ما بين الرجلين ربما تعود إلي ما قبل عامين علي الأرجح عندما كان "يوسف" يزور روما موفدا من لدن "أجريبا والكاهن الأعظم"، في مهمة إقناع "نيرو" بعزل "بروكراتور" بلاد اليهود. لكن هل هذه المعرفة كانت تسمح بأن يضع أمله في إسقاط بلاد اليهود علي احتمال قيامه بأسر "يوسف" وهو الأمر الذي يضعنا أمام أحد فرضين: واحدهما أننا أمام حالة أخري من حالات (تضخم الذات) لدي "يوسف"، وهي ليست الأولي في النص الذي يجري معالجته، بحيث يري "يوسف" أن سقوطه في يد "فسباسيان" كان من شأنه تسهيل سقوط بلاد يهوذا كلها في يد الرومان،

لأن اليهود سوف يفتقرون إلي عبقريته في الحرب. والفرض الثاني هو أن "فسباسيان" لسابق فهمه لطبيعة "يوسف"، كان يعول كثيرا علي تحول ولاءه لصالح الرومان في تسهيل فتح بقية أرض يهوذا. ويبقي الفرض الثاني هو الاحتمال الأرجح.

ظلت "يوتاباتا" صامدة أمام هجمات "فسباسيان" وجنوده لمدة 47 يوما كاملة وهي أطول فترة صمدتها مدينة في بلاد اليهود في هذه الحرب، لكن عدم رغبة المدن اليهودية الأخرى في نجدتها فضلا عن استعداد الرومان بآلات الحصار جعل سقوطها مسألة وقت لا أكثر. لم تكن هذه المسألة ببعيدة عن ذهن "يوسف"، فأخذ يعد للأمر عدته ويناقش مع أهل المدينة رأيهم في السماح له بالهرب. كان رد فعل سكان المدينة دراميا فقد ألحفوا في التذلل له لكي لا يتركهم وجثوا عند قدميه ليقنعوه أنه هو أملهم الوحيد في الحياة، من جهته حاول أن يوضح لهم أن بقاءه معناه موته وأنه من خلال هروبه من المدينة يستطيع أن يعود إليهم ومعه نجدات أكبر، وأنه كقائد للقتال يمكنه أن يشعل الحرب ضد الرومان في أماكن أخري. زاد تعلق سكان المدينة به إلي حد جنوني وبدأ الأطفال والنساء والعجزة يبكون ويتوسلون إليه حتى يبقي بينهم، وهنا أعمل "يوسف" العقل ورأي أنه لو تشدد في طلب الرحيل فسوف يكون من شأن ذلك أن يجعل رد فعل أهل المدينة يتحول إلي النقيض تماماً وقد يقتلونه. ورأي أنه لو صمم علي الرحيل فسوف يرفض أهل المدينة ويراقبونه بكل انتباه، وعلي ذلك غير "يوسف" موقفه تماماً، وخطب في سكان المدينة خطبة حماسية يحرضهم فيها علي القتال حيث لا أمل في الهروب من العدو[99].

شدد الرومان من حصارهم للمدينة حتى خشي أهلها من السقوط وهو ما دفعهم ليقاتلوا بقوة وكاد سهم يقتل "فسباسيان" نفسه وترك له جرحا في قدمه. أظهر "يوسف"، شجاعة نادرة في القتال، وأخذ يسد ما تهدم من الأسوار برجاله الأقوياء. ومع مرور الوقت واشتداد الحصار حدث أن قام أحد رجال مدينة "يوتاباتا" في اليوم السابع والأربعين من الحصار بفعلة غريبة، فقد فر من المدينة وطلب لقاء "فسباسيان"، حيث أخطره بسوء حال المدينة والنقص في الطعام والماء، وأكد لهم أن التعب قد بلغ بأهل المدينة مبلغه وأنهم سوف يكونون صيدا سهلا له لو هاجمهم في آخر الليل. لكن الغريب أن "فسباسيان" رفض تصديق الرجل، لعلمه اليقيني بمدي ولاء وإخلاص اليهود لبعضهم بعضا؟!! لكنه أبقاه تحت التحفظ ليستفيد منه[100]. وفي آخر الليل هجم الرومان يقودهم اليهودي الخائن، ودخلوا المدينة حيث قتلوا أكثر أهلها، أما "يوسف" فقد انتهز انشغال الرومان بقتل أهل المدينة، واستطاع الهروب إلي كهف قريب لا يستطيع الرومان اكتشافه بسهولة وعندما دخل الكهف وجد أن أربعين رجلا من اليهود قد سبقوه إليه، هذا علي حين لم ينجح الرومان في أن يجدوا مكانه بأية طريقة. وكان "فسباسيان" قد أعجبته شجاعة "يوسف" وقدرته علي قيادة المدينة فقرر أن يؤمنه علي نفسه. حاول المختبئون في الكهف البحث عن طريق للهرب ليلا لمدة يومين دون جدوى، فقد أغلق

الرومان كل الطرق، وفي الليلة الثالثة تم أسر امرأة يهودية فأفشت سر وجوده في الكهف. فأرسل "فسباسيان" من يحضره من فوره من الكهف ويؤمنه علي نفسه، وهنا فقط علم "يوسف" حقيقة وضعه الجديد لدي "فسباسيان"، وبدأ يتصرف طبقا لهذا الوضع[101].

أجاب "يوسف" علي دعوة "التريبون" العسكري "نيكانور"، ـوهو الذي كان معروفا له منذ زيارته لروماـ للخروج إليه ويمنع جنده عن دخول الكهف لإحضاره فقد كان أمر "فسباسيان"، هو إحضاره حياً. وكان "رد "يوسف" علي عهد الأمان. . . . بأنه قد تذكر كيف أخطره الرب "يهوه" في منامه بأنه سوف يأتي "إمبراطور" يهدئ من روع اليهود ويسوق للرومان الحظ السعيد، وأنه لم يكن في منامه قادر علي أن يعرف ما هو المقصود بهذه الرؤية، رغم علمه بتفسير الأحلام وكونه هو نفسه كاهن. وعندئذ فقد صلي للرب، ليشكره علي أنه قد أختار روحه لتكون هي الرسول الذي ينقل هذه البشري، وصاح بأنه سوف يبذل روحه لخدمة مُخلص العالم وأنه سوف يذهب للرومان ليحيا كـ "خادم" وليس كخائن"[102].

ولا يوجد دليل هنا حول ظروف حدوث هذه الواقعة، وهي علي الأرجح مثل معظم أفكاره التي دونها في كتاب الحرب اليهودية لم تواته في وقتها وهو في قلب الأحداث، ولكن واتته علي مهل بعد خروجه من الكهف وليس داخله. فقد كان إعلان مثل هذه الرغبة في هذا التوقيت، بمثابة وصم لـ "فسباسيان" بالخيانة عظمي خاصة ولما لم يكن "نيرون" قد أصابه مكروه بعد. ولا يتضح علي وجه اليقين: هل استقي "يوسف" خدعته هذه من التوراة مُستلهما الرؤية الصادقة للنبي "يوسف عليه السلام"، التي رآها لملك مصر، وهل لعب التماثل في أسمه مع أسم النبي وظروف سجنه دورا في أن نسج هذه الخدعة. فكان أن فكر في أن يرد الجميل لـ "فسباسيان" ويجعل من حادثة توليته للحكم "بشري" للإنسانية وأنه هو الذي سوف يخلص العالم وفي ذات الوقت يجعل "يوسف" نفسه في قلب الصورة مع الإمبراطور، حيث منح لنفسه دور الوسيط الذي نقل وحي الرب "يهوه". ويري "مصطفي كمال عبد العليم"، أن فكرة ظهور "ملك" يأتي لكي يخلص العالم كانت منتشرة في ذلك الوقت فعندما وقع "شمعون بن جيوراس" في أسر الرومان كان يرتدي ملابس الملوك، وهو ما ينطبق علي "لوقا" ملك يهود "برقة" فيما بعد[103].

والأمر بعد ذلك كله ومن منطلق يهودي بحت يطرح سؤالا هاما وهو: ألم يجد الرب "يهوه" غير هذا الخائن لشعبه "يوسف"، فيبعث به ليخبر ذلك "الوثني" بأنه الشخص الذي سوف يخلص العالم من الشرور؟ والشاهد أن هذه الرؤيا قد ذاعت وذكرها "سويتونيوس" في أحداث حياة "فسباسيان" عندما قال: "في أرض يهوذا استشار "فسباسيان رب "الكرمل، **Carmel**"، وحصل علي بشري أنه لن يخيب سعيه أبدا فيما يخطط له، وسوف يحقق طموحه. أيضا كان هناك يهوديا ذا حيثية أسمه "يوسف"، قد وقع سجينا في يد "فسباسيان"، أصر علي أنه قد أُخبر أنه سوف يطلق

سراحه الرجل الذي سوف يكون إمبراطورا "[104]. ويبدو أن "فسباسيان" لم يكن يختلف عن غيره من الرومان في استشارة الوحي وقراءة الطالع وتشهد أحداث زيارة الإسكندرية بذلك فقد كان "فسباسيان" يترقب حصوله علي العرش ويشهد بذلك الرؤيا التي رآها في معبد وحي "سيرابيس" تبشره بالعرش فقد رأي خادمه "باسيليديس" وهو يحيه بالأغصان والأرغفة المقدسة[105]، وهو ما جعل أهل الإسكندرية يحاولون أن يستثمروا هذه الرغبة فيه ليجذبوه إلي صفهم، ويجعلوا منه الإله المُخلص الحامي، من خلال إيهامه بقدرته علي الشفاء([106]).

كان ما قاله "يوسف" للترابنة أكثر مما يحتمله زملاء الكهف المحبوسين معه، فتحلقوا من حوله بعد أن رأوا أنه قد قبل دعوة "فسباسيان" وتصايحوا قائلين: "بالتأكيد إن صيحتك سوف تصل إلي السماء، فها هي قوانين الرب يتم تخطيها بواسطة الرب نفسه، الرب الذي سوف يقضي علي جنسنا بترك أرواحنا تلاقي الموت. هل أنت تحب الحياة إلي هذا الحد يا "يوسف"، حتى أنك تحتمل أن تعيش كـ "عبد"، كيف نسيت نفسك بهذه السرعة، ما أكثر الذين أقنعتهم بأن يبذلوا أرواحهم من أجل الحرية! هراء.. كل السمعة والمجد التي شاعت عن شجاعتك كانت هراء... وإن كنت أنت قد سحرك نجاح الرومان وبعت شعبك من أجل أن تتبع الرومان فنحن سوف نحافظ علي أسم بلادنا. (وهنا يقدمون له عرضا بأن ينتحر بنفسه تكفيرا عن خيانته فيقولون): سوف نقرضك سيفا ويدا لتحمله، وإذا ما مت طواعية، فسوف تموت كقائد عظيم لكل اليهود، وإن مت بدون إرادتك فسوف تموت كـ "خائن. قالوا ذلك ثم شهروا سيوفهم نحوه، وهددوا بذبحه إن خرج للقاء الرومان. وخوفا من التهديد، ولكونه رأي في ذلك خيانة للرب لو أنه مات قبل أن يقوم بإبلاغ الرسالة التي كلفه بتوصيلها، فأن "يوسف" في موقفه الدقيق هذا بدأ يتفلسف "([107]).

بدأ يوسف بتخذيل زملاءه عن الموت وسألهم "لم أنتم متشوقون للانتحار لم نجعل من أجساد وأرواح رفاقنا قسمة للموت؟ فلنفرض أنني تغيرت، حسنا الرومان يعلمون بكل ذلك، لقد قلت أنه لمن المجد أن يموت الإنسان في الحرب، لكن يموت بقوانين الحرب يموت بيد المنتصر. هل إذا ما أفلتنا من سيوف الرومان أيجب أن نهلك بسيوفنا نحن؟ وإذا عفا عنا عدونا كيف نصير نحن أعداء لأنفسنا، لقد كنا نقاتل الرومان لنمنع أنفسنا منهم، لقد قلت يجب أن نموت لأجل الحرية، لكن نموت في ميدان القتال علي يد من يريدون أن يسلبونا حريتنا، والآن فالرومان لن يأتوا ليحاربونا ويقتلونا. هل الرجل الذي لا يريد الموت عندما يكون واجبا عليه أن يفعل ذلك هل هو أفضل من الرجل الذي يريد أن يموت عندما لا يتوجب عليه أن يفعل. ما الذي يمنعنا الآن من الخروج للرومان أليس هو الموت، وهل مكوثنا هنا خوفا من موت غير مؤكد هل هو أفضل من البقاء مع الموت الأكيد؟ رد عليه الجميع ليس الموت هو ما نخشاه بل العبودية. فقال لهم وهل أنتم أحرارا الآن؟ هل هي الشجاعة أن يقتل المرء نفسه. رد

عليه أحد الموجودين وقال له أري أن الربان لا يجب يكون جبانا ويختبئ بسفينته من العاصفة، وعليه بدلا من أن يخشى الطقس السيئ أن يندفع نحو العاصفة ولا ينتظر أن تغرق قاربه "[108].

واصل "يوسف" خطبته ليقنع رفاقه لكنه لم يلق إلا آذانا صماء قد أغلقها اليأس، فقد كان رفاقه قد وطنوا أنفسهم علي الموت، وقد جعلهم كلامه يتطيرون به وانطلقوا وقد أشهروا سيوفهم يعدون خلفه من كل ناحية يريدون قتله، وصار يجري كالحيوان المطارد الذي يهرب من الذبح، فطلب منهم "يوسف" عندئذ أن يمنحونه فرصة أخيرة. قال لهم عندها "يوسف" حسنا دعونا نجري قرعة بحيث يقتل الأول التالي عليه في الدور، وبذلك لا ننتحر ولا يتبقى أحد وحيدا فيضطر لقتل نفسه، كذلك فسوف لا يكون من العدل أن يغير واحد من رأيه في وقت الانتحار وينجو بحياته. وبدأ "يوسف". بلا تردد قدم كل رجل لصنوه رقبته ليقتله، وقد أعتقد أنه في اللحظة التالية فأن زميله سوف يصنع، بنفسه مثل صنيعه. لم يتبق سوي "يوسف" نفسه ورجل آخر فأقنعه بأن الحياة أفضل لهما من الموت، وأنه لا يجب أن يلوث أحدهما يديه بدم يهودي مثله. كان ما أريق من دماء في هذا اليوم كثير ولم يجد زميله هذا في نفسه القوة لكي يرفض كلامه، وخرج كلاهما حيا من الكهف[109].

"أندفع كل الرومان لرؤية هذا الرجل الذي كان سببا في إزعاجهم لفترة طويلة، تزاحم الجميع البعض يطالب بترك "يوسف" والبعض الآخر يطالب بقتله وآخرون يتدافعون لمجرد رؤيته. وبين المشاعر المختلطة كان "تيتوس" مشفقاً علي "يوسف". خاصة عندما تذكر كيف كان يقاتل فيما سبق والآن قد صار سجينا في أيدي أعداءه، فآلي علي نفسه أن يتوسط لدي والده "فسباسيان" ليعفو عن "يوسف". علي كل حال أصدر "فسباسيان" أوامره لكي يضعوا "يوسف" تحت عناية ومراقبة لصيقة. لما رأي "يوسف" ما حدث طلب أن يتحدث مع "فسباسيان" علي إنفراد وقال له: إنك تعتقد يا سيدي أن أسرك لي هو محض مصادفة لكنني أتيت إلي هنا لأخبرك بالمجد الذي ينتظرك كرسول من الرب نفسه، أنا أدرك جيدا أحكام القانون اليهودي وأن القائد يجب أن يموت، هل سوف ترسلني إلي "نيرون"؟ كيف ذاك وهل "نيرون" ومن بعده سوف يبقون علي العرش؟ أنت يا "فسباسيان" الذي سوف تصير "قيصرا وإمبراطورا، أنت وأبنك الذي هنا، لذلك ضع علي أثقل قيودك ودعني أبقي هنا بالقرب منك، لأنك السيد ليس سيدي وحسب، ولكن سيد الأراضي والبحار كلها وكل الجنس البشري، أبقني بالقرب منك لتعاقبني إن وجدت أنني كاذب. في البداية لم يأخذ "فسباسيان" كلامه هذا علي محمل الجد وظن أنه يقول ذلك لكي ينقذ نفسه، لكن بمرور الوقت وتطور الحوادث كان يقين "فسباسيان" بصدق "يوسف" يزداد، فقد أيقظ فيه كلامه طموحاته لكي يصير إمبراطورا"[110]. عم أهل "أورشليم" حزن عظيم عندما علموا بسقوط "يوتاباتا" وأسر "يوسف" فحزنوا علي ما حدث للمدينة ولـ يوسف" أيضاً، فكان منهم من يبكيه ومنهم من استأجر النائحات لكي ينحن عليه، لكن بعد أنت علموا الحقيقة فقد انقلبوا ضده وأعتبره البعض خائنا والبعض الآخر جبانا[111].

يبرز بعد ذلك دور خائن آخر وهو "أجريبا" وهو من نسل الملوك العملاء وصنيعة من صنائع روما في هذه البلاد. كان أشد ما يحزن "أجريبا" في هذا الوقت ليس عدد القتلى والجرحى من اليهود بيد الرومان أو بيد بعضهم بعضا، ولكن ما كان يؤرقه هو أن هذه الثورة اللعينة قد أذهبت السرور عن "فسباسيان" وأحزنته، فقرر أن يقيم احتفالات وألعاب علي حسابه الخاص وذلك لكي يسري عنه وعن جيشه. وكان هم "فسباسيان" هو إعطاء أولوية لإعادة المدن الثائرة علي أجريبا إليه وذلك مجاملة لحليف روما. سار "فسباسيان" من الساحل عند "قيصرية" لكي يقمع الثورة وسار حتى "قيصرية فيليبي"، وهناك أراح قواته لمدة ثلاثة أسابيع، وقدم تضحية للرب شكرا علي نصره. لكنه عندما سمع أنباء عصيان "طبرية" وانضمامها إلي "تاريخايا" في الثورة، وكلاهما من المدن التابعة لـ "أجريبا"، قرر أن يسير إليهما ليقمع عصيانهما قبل أن تمتد ثورتهما إلي اليهود في كل مكان ووجد أنها الفرصة المناسبة لرد الجميل لـ "أجريبا" علي حسن ضيافته له، وذلك بإعادة المدن الثائرة عليه إلي ممتلكاته[112].

في الحقيقة كانت "طبرية" مُهيأة للعودة إلي سلطان الرومان دون جهد يذكر، يشهد بذلك رد فعل أهلها تجاه أحد الثوار وهو "جوشوا بن شافاط"، الذي استطاع أن يهاجم قوة رومانية، ويغنم أمتعة جنودها، لكن بمجرد أن علم وجهاء المدينة بما فعله "جوشوا" قرروا أن يذهبوا علي الفور إلي معسكر "فسباسيان" ليعتذروا له وألقوا بأنفسهم عند قدميه راجين إياه أن لا يأخذهم بذنب صاحبهم، وأن يعاقب من أشترك في الثورة عليه وحسب. وجد "جوشوا" أن جو المدينة لم يعد صحيا بالنسبة إليه فرحل إلي "تاريخايا" وفي اليوم التالي كان "فسباسيان" في طبرية يتلقى ترحيب واحترام أهلها له، ولكي يضمن ولاء المدينة فقد اتفق مع "أجريبا" علي هدم أسوارها[113]. لم يكن الحال في "طبرية" بأفضل منه في "تاريخايا"، فعند اقتراب "تيتوس" تجمد أهلها من الهلع من الرومان وفر المقاومين منها هذا علي حين خرج بقية أهلها من أشياع الرومان مرحبين به. ويتغنى "يوسف" بالعطف الذي أبداه "فسباسيان" علي سكان المدينة فلم يعاقبهم جميعا بل، استطاع أن يفصل ما بين سكان المدينة ومن لجأ إليها من الخارج واعتبر أن هؤلاء هم المسئولون عن الثورة، وهنا قرر أن يقتل بعض الثائرين ويسترق أقويائهم ويرسل زعمائهم إلي "نيرون"، ولم ينسي أن يجامل "أجريبا" ويخفف عن نفسه مئونة عقاب كل هذا العدد الكبير فأعاد إليه من أتي من مدن مملكته، فوضعهم "أجريبا" تحت المطرقة![114].

واصل "فسباسيان" سيره في أملاك "أجريبا" يعيد إليها النظام، وحاصر مدينة "جمالا، Gamala". ولما أشتد الحصار وكان "أجريبا يرغب في مساعدة حلفاءه من الرومان، فقد أقترب من أسوار المدينة ووقف في من يواجهونه من أهل المدينة من فوق الأسوار خطيبا يخذل اليهود عن الحرب ويتهكم عليهم ويسخر من ضعفهم، وأخذ يناقش معهم شروط الاستسلام للرومان؛

وكان مما قاله لهم: "أين جيوشكم أين أسلحتكم علام ترتكنون؟ أين هي سفنكم لكي تحتل بحار الرومان أين كنوزكم لتواجهوا نفقات الحرب؟ هل سوف تغلقون عيونكم عن جبروت الإمبراطورية الرومانية، وترفضون أن تدركوا مدي ضعفكم؟ أولم تنهزم قواتنا بواسطة جيراننا، بينما جيوشهم لم تقابل من يقهرها في كل أرجاء العالم المعروف"[115].

لكن حدث أثناء حديثه أن انطلق حجر من يد أحد المحاصرين ليشج رأس "أجريبا"، فوق حاجبه الأيمن، أحاط حرس "أجريبا" به من فورهم، وضاعف الرومان من حصارهم للمدينة ثأرا للملك وخوفا من أهل المدينة، وتم بسرعة الانتهاء من تركيب آلات الحصار. رأي زعيما الثورة في المدينة "تشاريس" و "يوسف"، ما يحدث ورغم أن المدينة كانت تعاني من نقص شديد في الماء والطعام فقد أخذ قادة الثوار في المدينة يضحكون ساخرين من الخوف الذي ألم بأهل المدينة ودفعوهم دفعا لمواصلة القتال، لكن مع استخدام الرومان لآلات الحصار، سقطت المدينة وتدافع الرومان داخلها في قتال عنيف، كاد خلاله "فسباسيان"، أن يفقد حياته. بعد سقوط المدينة يثني "يوسف" علي براعة الرومان فقد كانت حصون هذه المدينة من أفضل الحصون في رأيه[116]، لكن يعلق عليه "وليامسون" بقوله "لقد ضرب "يوسف" الطول في خمسة والارتفاع في عشرة"[117]. من جهة أخري كانت مدينة "جيسخالا" مثل غيرها من المدن منقسمة علي نفسها وكانت هي المدينة الوحيدة تقريبا من مدن "الجليل" التي تم تركها دون تدمير فقد كان أكثر أهلها من المزارعين ولا يهتمون لشئ غير محاصيلهم، وعندما تزعم الثورة فيها "يوحنا بن لاوي"، أوفد أهلها مبعوثون للرومان ليعلنوا لهم استسلام المدينة ويتبرأون من "يوحنا". جلس "تيتوس" يفكر في طريقة لاقتحام المدينة دون قتال حتى لا يريق المزيد من الدماء اليهودية لأنه سأم القتل. عندما وجد "يوحنا" أنه لن يستطيع الصمود أمام الرومان، وأن أهل مدينته قد خانوه، طلب منهم تأجيل اقتحام المدينة ليوم واحد فقط، وتحجج بأن اليوم هو "السبت" وأنه لن يستطيع أن ينجز فيه أي عمل وأن يوما آخر لن يضير أحدا، ولما استجاب له الرومان هرب هو ورجاله تحت جنح الظلام إلي "أورشليم". وكان هروبهم في البداية منظما لكن لما استشعروا خطر تتبع الرومان لهم نفذوا تعليمات "جون" الحرفية "لينجو كل رجل بنفسه"[118].

عندما دخل "تيتوس" المدينة في اليوم التالي وضع السيف في أهلها فقتل منهم 6.000 رجل و3.000 امرأة وطفل، ومن الغريب أن يكون هذا تصرف "تيتوس" الذي يصوره "يوسف" بمظهر الراغب عن إراقة دماء اليهود قبل قليل. ولا عذر لـ "تيتوس" في تصرفه هذا فلم يقاوم أهل "جيسخالا" مقاومة توازي ما حدث في مدينة "جمالا" مثلا، وكان تصرف "فسباسيان" تجاهها أقل قسوة بكثير منه. ولا يبدي "يوسف" أية رد فعل غير طبيعي تجاه ما فعله "تيتوس" هذا[119]، فهو يصفه بالشفقة والرحمة ثم يصف أفعاله القاسية دون أدني استهجان منه.

وإن كان من الممكن تفهم موقف "تيتوس" و "يوسف" من الثورة والثوار بشكل عام فمن الصعب علي المرء أن يفهم ما كان يحدث ما بين أهل المدن التي سبق أن وقعت في يد الرومان. "كانت المدن التي استسلمت للرومان قد دخلت في حرب أهلية عنيفة، وتقاتل أهلها من المعتدلين مع فرقائهم من المتشددين، وكلما غفل الرومان عن أهل هذه المدن انتهزوا الفرصة للدخول في قتال ضاري فيما بينهم. كان القتال قد بدأ بين أفراد الأسرة الواحدة والتي كان يفرق بين أعضائها ما بينهم من كراهية مريرة. وكان القتال بعد ذلك ينتقل لأقرب الأقرباء ذوي صلة الدم، ويمتد القتال بعدها إلي من كان يري البعض فيهم أنهم يعتنقون فكر أعدائهم (سواء نظرة المعتدلين للمتشددين أو العكس). بدأ الاعتداء من الثائرين وسرت فيها حمية وشجاعة الشباب التي طغت علي العقل والحكمة الموجودة لدي الشيوخ. وبدءوا في الفتك بجيرانهم وتحطيم ممتلكاتهم وكونوا من أنفسهم عصابات انتشرت في طول البلاد وعرضها، وفي ظل غياب القانون والنظام فلم يكن ما عاناه الرومان منهم بأسوأ مما عاناه أهل البلاد من اليهود من أذى هذه العصابات. وفي الواقع كان العديد من أهالي البلاد بما رأي من ممارسات هذه العصابات يفضل أن يقع في يد الرومان بدلا من أن يقع في أيديهم. لم يهتم الرومان كثيرا علي أية حال بحماية أهل البلاد من هذه العصابات ولما اكتفت هذه العصابات من السرقة والقتل فقد قرروا أن يكونوا عصابة واحدة وذهبوا جميعا إلي "أورشليم" ليقاتلوا الرومان هناك"[120]. وبذلك تجمع في "أورشليم" –حسب رؤية يوسف" جماعات شتي من اللصوص والمارقين، وهو تجمع عجيب سوف يزداد غرابة مع تطور الأحداث.

ويعبر الاقتباس السابق عن الحالة المتردية من الكراهية والبغضاء التي كانت تعتمل ما بين عامة اليهود، وهي تختلف عن مواقف قادة الحرب اليهودية في أنها لا تعبر عن اختلاف في الرؤى السياسية أو في المعتقدات أو حتى كراهية شخصية بين بعض قادة الحرب. لكن من الجلي أنها كانت أكبر مجسد لشعور الكراهية والانقسام الموجود بين اليهود عبر العصور، وهو شعور كان قد تمكن من الشعب اليهودي، ولم تفلح الحرب ولا مذابح الرومان، في أن يوحد بينهم وأن ينسيهم هذا الخطر الداهم والمذلة علي يد الرومان، أحقادهم الشخصية ويترفعون عن الصغائر. فأصبح اليهود يتعرضون للقتل علي يد الرومان من جهة وعلي يد بعضهم بعضا من جهة أخري في ذات الآن.

وصل "يوحنا بن لاوي" إلي "أورشليم" وقد أثار وصوله فزعا بسبب تعدد الهزائم أمام الرومان، لكنه مع رجاله حاولوا أن يخففوا من فزع أهل "أورشليم" بقوله أنه انسحب ومن معه من مدن الجليل لكي يوفروا طاقتهم لحرب الرومان في ميدان أفضل ويدافعوا عن المدينة المقدسة. ولم يهتم "يوحنا" بمصير من أتبعه من الفارين وأخذ يهون من شأن الرومان ويحرض علي محاربتهم، حتى قال لليهود: حتى لو نبتت للرومان أجنحة فلن يستطيعوا اجتياز أسوار "أورشليم"، فقد بدد الرومان الكثير من طاقاتهم في قتال "جيسخالا" وغيرها من المدن قليلة الأهمية[121].

تجمعت في "أورشليم" كل القوي المتناحرة الكارهة لبعضها من فئات الشعب اليهودي، ولم تكن هناك جماعة أقوي من الأخرى وعلي فقد كانت المدينة بلا قائد حربي. "أصبح الوضع في المدينة غاية في الصعوبة فقد اكتظت بمن أتوا إليها من مختلف أنحاء بلاد اليهود فضاقت المساكن والشوارع بمن فيها وعزت الأقوات وكان أهل المدينة لا يشعرون بأدنى ود تجاه من وفد إليها فلم يكونوا ينظرون إليهم علي أنهم قادمون لإنقاذهم. وامتلأت المدينة علي ذلك بجماعات عاثوا فيها فسادا كالمجرمين وارتكبوا كل جريمة ممكنة. لم يكن هؤلاء ليخجلون ويرتكبوا جرائمهم في الليل أو تحت جنح الظلام أو بمبعدة عن العامة بل علي العكس فقد كانوا يرتكبون جرائمهم في وضح النهار وفي قلب المدينة دون وازع من شرف أو رادع من ضمير أو سلطة أو هيئة حاكمة. . . . حتى امتلأت القلوب بالرعب وشعر الجميع أن عاصفة اجتاحت المدينة ولم يعد أحد ليفكر بشيء سوي سلامته وأمنه هو نفسه. وكان الإرهابيون لا يستطيعون أن يحتفظوا بأسراهم لوقت طويل، فقد كان من الصعب أن يتم أسرهم وهم من ذوي الحيثية دون أن يحاول البعض تخليصهم وكان هذا يعني أن تقوم ضدهم ثورة عارمة، لذلك قرروا قتل هؤلاء السجناء. . . . وادعوا أنهم كانوا يفشون الأسرار للرومان ويسهلون لهم دخول "أورشليم". وكان من شأن ذلك أن صار الناس يكنون للإرهابيين كراهية عظيمة، ومن ثم حاول الإرهابيون التحكم في منصب الكاهن الأعظم، وتعيين فرد من خارج نطاق العائلات الكبيرة التي كانت تتداول المنصب فيما بينها، حتى يصير ألعوبة في أيديهم ويدين لهم بالفضل في تعيينه، ويحتاج إليهم لمناصرته. تفنن الإرهابيون في إقصاء الجميع من ذوي الأصل والحيثية عن الترشيح لهذا المنصب، وعاثوا فسادا في المدينة حتى لقد دخلوا الهيكل المقدس بأقدامهم المتسخة. لكن "أنانوس" "كبير الكهنة"، وهو رجل ذا خلق راقي استطاع بحكمته أن ينقذ المدينة من يد المتآمرين، وكان تدخله سببا في أن يحتل المتشددون الهيكل، ويحولونه إلي قلعة لهم يتحصنون بها ويجعلون من المعبد المقدس مركزا لطغيانهم"[122].

تم اختيار الكاهن الجديد وهو رجل يدعي "فاني بن صامويل، **Phanni s. of Samuel**"، وهو رجل فقير ليس من عائلة من عائلات الكهنة العريقة، بل وهو أشبه ما يكون بالمهرج، لا يكاد يفقه ما يعنيه منصب الكاهن الأعظم. طاف المتشددون بضحيتهم (الكاهن الأعظم الجديد) وألبسوه زى الوظيفة، كما يحدث علي المسرح، ولقنوه كيف يتحدث ويتصرف طبقا للظروف، وكان المتشددون يرون في هذا سخرية من الكهنة لكن الفئة الأخيرة رأوا في ذلك تعدي غير مسبوق عليهم وإهانة عظيمة لهم. اجتمع كبار الكهنة وقرروا أن يشعلوا الثورة ضد المتشددين، ويثيرون الشعب عليهم. في اجتماع عام ناقش الكهنة ما يحدث وألقي في هذا الاجتماع الكاهن الأعظم السابق "أنانوس بن أنانوس" خطبة، حمل فيها علي المتشددين، وطالب الكاهن الأعظم الجديد بالهروب من بين براثنهم. وتحسر "أنانوس" علي الحال التي صار إليها أمر منصب الكاهن الأعظم، وتمني لو أنه مات قبل أن يري هذا اليوم. وحمل في خطبته أيضاً علي المتشددين الذين احتلوا الهيكل المقدس. وفي شأن الرومان قال

"أنانوس" في خطبته: والآن لو فكرنا في أمر الرومان فأنني أري أننا عندما خضعنا لهم فأنهم لم يغيروا من أمورنا وينتخبوا الكاهن الأعظم بالقرعة، ولو أنهم ظلوا يسيطرون علينا لكان هذا أفضل من حكم هؤلاء المتشددين، ولما عانينا تحت حكمهم أكثر مما عانينا الآن. وهاجمهم "أنانوس" أيضاً لأنهم متآمرون ضد الحرية، وأنهم لن يستطيعوا (أي جموع اليهود)، أن يجدوا للمتشددين عقابا مناسبا مهما فعلوا[123].

كان من أثر الخطبة التي ألقاها "أنانوس" أن قرر المواطنون محاربة المتشددين، وقد أدركوا أنهم الأكثر عددا وقوة. وبينما المواطنون يتهيئون لحرب المتشددين، علم هؤلاء بما ينويه خصومهم فاستعدوا لهم وتحصنوا بالهيكل، واستطاع "أنانوس" أن يحتل الفناء الخارجي للهيكل، لكنه مع التتابع الكثيف للقذائف النارية للمتشددين داخل الهيكل أكتفي بما حققه وقرر أن يحصرهم داخله. وكان عدم دخوله لقواته للمعبد يرجع إلي سبب يبدو عجيبا بعض الشئ فقد وجد أنه من غير المناسب أن يسمح لجنوده هؤلاء باقتحام المعبد دون أن يكونوا قد أدوا طقوس التطهر، فاختار بالقرعة من بين الرجال الذين يقودهم 6.000 رجل ليحرسوا "مدخل"[124]، الهيكل لمنع خروج المتشددين منه. وكان من الطريف أيضا أن أولئك الأغنياء ممن أصابتهم القرعة ليكونوا من بين الستة آلاف الذين سيحرسون باب الهيكل المقدس تنازل عن هذا الشرف وأكتري أحد اليهود الفقراء لكي يحل محله[125].

في ظل هذه الظروف قرر "يوحنا بن لاوي" أن ينضم إلي صف الكاهن "أنانوس"، وكان موقفه هذا يعتبر مناقضا لمواقفه السابقة لكونه أحد المتشددين المعروفين، وهو كما يوضح "يوسف" من أكثر الذين يتآمرون ضد الدولة. كان هدف "يوحنا" من موقفه هذا أن يزرع الفرقة بين صفوف أتباع "أنانوس" من أهل المدينة. ظل "يوحنا" مرافقا للكاهن "أنانوس"، ليل نهار ثم يقوم بنقل أخباره إلي المتشددين، وهكذا فكل فكرة كان يخطط لها "أنانوس" ورجاله كان المتشددون يعلمون بها قبل تنفيذها، ولكي لا يصير هدفا لشكوك "أنانوس" ورجاله فقد تعمد أن يجعله يشك في أتباعه من الشعبيين، لكن هؤلاء فطنوا لذلك ووجهوا شكوك "أنانوس" نحو "يوحنا" نفسه. كان من شأن هذا الموقف الدقيق أن يجعل "يوحنا" يقسم لـ "أنانوس" علي الولاء والطاعة له ولأهل المدينة وأنه سوف يساعدهم بالنصيحة المخلصة وسيكون سيفه معهم في كل قتال. وعلي ذلك صدق "أنانوس" ورجاله كل مزاعمه بل وقرروا التوقف عن الشك فيه، حتى أنهم قرروا أن يرسلوه علي رأس وفد إلي المتشددين ليتفاوض باسمهم معه[126]. ويوحي ظاهر الأحداث أن "أنانوس" وأتباعه لم يتوقفوا في الغالب عن شكهم في "يوحنا" ولكن قرروا وهم يحتاجون إلي من يفاوض المتشددين أن يرسلوا شخصا ممن لا يهتمون لأمره لو قرر المتشددون ممارسة إحدى العادات الشائعة بين طوائف اليهود في هذه الفترة وهو إما أن يقتلوا أو يسجنوا من ذهب للتفاوض معهم من خصومهم. ولعل رفض أغنياء اليهود قبل قليل القيام بحراسة باب الهيكل واكتراء الفقراء لهذا العمل يساند هذا الزعم.

بر "يوحنا بن لاوي" بقسمه علي طريقته الخاصة وبدلا من أن يساند "أنانوس" وحزبه ضد المتشددين فقد فعل عكس ما أقسم عليه. كانت نصيحة "يوحنا" المخلصة للمتشددين أثناء تفاوضه الزائف باسم سكان المدينة هو أنهم لن يستطيعون الصمود طويلا ضد "أنانوس" وأتباعه وأن عليهم أن يطلبوا النجدة من خارج المدينة. "بدأ "يوحنا" حديثه قائلا أنه يخاطر بحياته لأجلهم لكي يعرفوا كل ما يحيكه "أنانوس" وحزبه ضدهم؛ وأن مشيئة الرب كانت هي أن يرسله "أنانوس" لكي يتفاوض معهم لكي يخبرهم بنفسه أن "أنانوس" لن يفي بعهده لهم لو أطاعوه وخرجوا من الهيكل المقدس وسوف ينقض عليهم بجنده ليقتلهم عند خروجهم، وخيرهم لو أنهم يأبهون لحياتهم أن عليهم إما أن يستجدوا حياتهم من محاصريهم أو أن يطلبوا المعونة من خارج المدينة. وأكد لهم علي أن من يطمع في عفو "أنانوس" أو سكان المدينة يكون واهما لو فكر في ذلك. وأن "أنانوس" قد أرسل سفارة إلي "فسباسيان" يدعوه لدخول "أورشليم" وأنه سوف يسلمها له. وختم قوله أنه في ظل هذه الظروف حتى لو تحركت قلة من الشعب المتعاطف معهم فلن يلبث أن يقضي عليهم غالبية أهل "أورشليم". نفذ المتشددون نصيحته علي الفور وراسلوا "الأدوميين" طالبين منهم الحضور لنجدتهم والدفاع عن "أورشليم"[127].

كان لحديث "يوحنا بن لاوي" أثره في بث الخوف في قلوب المتشددين، "ولكي يتأكد من إطاعة زعماء المتشددين له فقد أخبرهم أن "أنانوس" سوف يختصهم بالعقاب الأشد لو وقعوا في يده. . . . قرر قادة المتشددين أن يخطوا رسالة إلي الأدوميين يوضحون فيها أن "أنانوس" قد استعبد أهل "أورشليم" ويريد أن يخون الشعب ويسلم "أورشليم" إلي الرومان، وأنهم أنفسهم قد ثاروا عليه ليساندوا حرية اليهود، وهو ما جعله يحبسهم في المعبد، وأن مصيرهم سوف يتقرر خلال ساعات قليلة. وتم إعطاء الرسل التعليمات أن يبلغوا الأدوميين بالتفاصيل الأخرى شفاهة[128].

أطارت الرسالة صواب الأدوميين، فأعلنوا الحرب علي "أنانوس" وخرج ما يزيد علي 20.000 منهم لكي يقوموا بتحرير المدينة المقدسة. ما أن علم "أنانوس" ورجاله باقتراب جيش الأدوميين حتى أغلق دونهم أبواب المدينة، وكان ذكاء "أنانوس" وراء محاولته الأخيرة لكي يتحدث إليهم قبل أن يتخذ منهم أعداءا برفضه دخولهم للمدينة. ولذلك قرر أن يترك "جيسوس=عيسي" كبير الكهنة يتحدث إليهم فكان مما جاء في خطبة طويلة ألقاها عليهم من فوق سور المدينة: "في ظل الفوضى التي شهدتها المدينة كان أعظم ما أدهشني هو حضوركم لكي تساندوا جانب الشر، هل أتيتم لكي تعاونوا هؤلاء الرجال المرذولين ضدنا، هل يصح أن نلقي نحن أهل المدينة الأم منكم التواطؤ مع البرابرة ضدنا. هل ترغبون أن تكونوا في صعيد واحد مع أولئك الرجال الأشرار الذين دعوكم إلي هنا، أنني أري أن تصرفكم هذا غير مبرر. . . أنني لا أفهم السبب الذي جعلكم تحضرون هكذا سريعا دون سبب خطير، وقد سلحتم أنفسكم من رؤوسكم حتى الأقدام لكي تحاربوا أناسا

أبرياء . . . لقد كذب عليكم من أدعي أننا نريد من الرومان أن يأتوا لكي يحتلوا المدينة . . . هل قالوا أننا نحن قادة المدينة نتصل سرا بالرومان، أم أن أهل المدينة علي الملأ قد قرروا ذلك . إذا ما كانوا قد اتهمونا بذلك هلا أخبرونا من هم الرجال الذين أرسلناهم للرومان . . . والآن بما أنكم هنا الآن ومسلحون علي هذا النحو فأن المهمة الجديرة بكم هي أن تدافعوا عن المدينة ضد هؤلاء الطغاة، الذين خرقوا قوانيننا وجعلوا السيف هو الفيصل في خلافنا "[129] .

كان رد "شمعون بن كآثوس" زعيم الأدوميين، علي "عيسى" وقحاً فرد دون أن يسمع كلام "عيسى" قائلا: "أنا لم أعد مندهشا من أن أبطال الحرية مسجونين في المعبد، الآن قد رأيت أناسا يتصرفون ضد مصلحة المدينة المقدسة وضدنا الأمة (اليهودية) كلها، إن المدينة ملك لنا جميعا . إن هؤلاء الرجال الذين يغلقون دوننا أبواب المدينة ربما سوف يزينون البوابات بالأكاليل عند حضور الرومان، والآن تريدونا أن نلقي بالأسلحة التي نحملها لندافع بها عن المدينة، يا لكم من رجال تأبون أن يدافع أقربائكم عن المدينة الأم . . . هذه المدينة التي تفتح أبوابها علي مصراعيها لكل أجنبي ليتعبد بها، الآن تغلق أبوابها أمامنا بأمركم ضد أبنائها "[130] . "لم تلق خطبة "عيسى" من الأدوميين إلا صدودا، فقد شعروا بالإهانة لأنهم قد رُدوا عن المدينة وقد استبعدهم قادتها من بين المدافعين عنها . أحس "الأدوميون" أيضا بعدم القدرة علي مساعدة المتشددين، لكن خجلهم من العودة إلي بلادهم دون أن يظفروا بشئ من الشرف بالدفاع عن المدينة، كان يمنعهم من العودة إلي بلادهم . . . كانت عودة الأدوميون من حيث أتوا تعني أن يهلك المتشددين وعلي ذلك فقد خرجت جماعة منهم ليلا بجسارة عجيبة مخترقة الحصار المضروب حول الهيكل وفتحوا أبواب المدينة القريبة من معسكر "الأدوميين" ، دون أن يشعر بهم أهل المدينة[131] .

"ظن الأدوميون" في البداية أن قوات "أنانوس" سوف تخرج من المدينة لحربهم لكنهم ما لبثوا أن أدركوا الحقيقة، فانطلقوا في كل ناحية من المدينة وكان كل همهم في البداية هو أن يطلقوا سراح المتشددين لأنهم هم الذين أدخلوهم للمدينة . . . جاس "الأدوميون" بعد ذلك في المدينة حتى وصلوا إلي المعبد حيث كان المتشددون ينتظرونهم بصبر نافذ . وما أن لمحوا الأدوميون حتى خرجوا من أماكنهم إلي الفناء الخارجي وانضموا لهم وهاجموا القوات المعسكرة حول المعبد . . . أفاقت القوات المحاصرة للمعبد وقد ظنوا أن المتشددين قد خرجوا يريدون مباغتتهم ليلاً، ولما كانوا لا يعلمون بقدوم الأدوميين فقد ظنوا أنهم يفوقون المتشددين عددا فتصدوا لهم . . . تصاعد صياح المتقاتلين فأوقظ أهل المدينة، لكن أحدا منهم لم يهب لمساعدتهم، لأنهم علموا أن "الأدوميين" قد دخلوا المدينة، وبدلا من القتال فقد تصاعد صراخ أهل المدينة وعويل النساء ممن لهم أقارب من الذين كانوا يحاصرون المعبد وذلك حزنا علي ذويهم . لم يستثن الأدوميون أحداً من أهل المدينة وبينما أهل المدينة يستصرخون الأدوميين مُذكرين إياهم بقرابتهم منهم ويطلبون منهم أن يحترموا حرمة المعبد، كان الأدوميون يعملون

فيهم سيوفهم. لم يكن هناك أمام من حصرهم الأدوميون في المعبد من منجاة، فظلوا يهربون من ركن إلي آخر والمتشددون والأدوميون يقتلونهم فتسقط الأشلاء فوق الأشلاء. امتلأ فناء المعبد الخارجي بالكامل بالجثث والدماء، وغربت شمس هذا اليوم علي 8.500 قتيل "[132].

"انطلق الأدوميون بعد ذلك يقتلون كل من تقع عيونهم عليه لكنهم لم يكونوا مبالين سوي بشيء واحد هو القبض علي كبار الكهنة. واستطاعوا أن يصلوا إلي هدفهم بسرعة فقتلوا "أنانوس" لتزعمه أهل المدينة ضدهم وقتلوا "عيسى" لخطبته التي ألقاها عليهم وذهبوا إلي مدي أبعد من ذلك فمنعوا أهل المدينة أن يدفنوا قتلاهم، وذلك رغم أن اليهود كانوا يولون طقوس الدفن عناية شديدة، حتى أن أجزاء الأشخاص المصلوبين كانت تجمع بعناية وتُدفن قبل غروب شمس اليوم الذي ماتوا فيه. ولسوف لا أكون مخطئا عندما أقول أن سقوط المدينة بدأ يوم قتل "أنانوس" وأن انهيار أسوار المدينة وسقوط دولة اليهود يؤرخ باليوم الذي تم فيه ذبح الكاهن الأعظم لليهود وقائد معبدهم "[133]. ورأي "يوسف" فيما حدث لليهود أنفسهم ولمدينتهم المقدسة عقابا من الرب بسبب الذنوب التي لوثت المدينة فأحرق هيكل سليمان وأنجي الأخيار(حلفاء الرومان) في النهاية[134].

"ثني الأدوميون والمتشددون بعد ذلك بأهل المدينة فأخذوا يذبحونهم كقطيع من حيوانات نجسة، وأخذوا شباب النبلاء ووضعوهم في السجون مصفدين في الأغلال، وذلك علي أمل أن يحول النبلاء ولائهم إليهم". وبلغ ظلم الأدوميون لأهل المدينة أنهم منعوهم أن يدفنوا قتلاهم أو أن يذرفوا الدمع عليهم[135]. "بعد أن أكثر المتشددون في المذابح دونما تفرقة، قرروا محاكمة أعدائهم من كبار الكهنة فقرروا أن يحاكموا "زكريا بن باروخ"[136]، . . بتهمة خيانة الدولة والاتصال سرا بـ "فسباسيان"، ولم يقدموا ضده أدلة أو أثبات يدعم أقوالهم، لكنهم قالوا أنهم متيقنون من أنه مذنب. وكان "زكريا" يعلم أنه لا سبيل للهرب، فقام وقد يأس من حياته وحريته فخطب في الحاضرين مفندا التهم الموجهة إليه. كان المتشددون قد اختاروا لمحاكمته سبعون قاضيا بغرض اتهامه فقط، لكنهم لما سمعوا منه خطبته هذه فقد ناصروه وودوا لو أنهم ماتوا معه علي أن يظلموه. . . لم يتحمل المتشددون ما فعله القضاة فانقضوا عليه وفصلوا رأسه عن جسده، وألقوا به من فوق المعبد وضربوا القضاة بمقابض سيوفهم وطردوهم من المعبد وانطلقوا إلي كل ركن في المدينة ليعلنوا لسكان المدينة أنهم صاروا عبيدا "[137].

"من جهتهم بدأ الأدوميون يشعرون بالندم علي حضورهم إلي المدينة، وفي هذه الظروف لم يلبث فجأة أن انشق أحد المتشددين علي حزبه وذهب سرا إلي "الأدوميين" ليخبرهم بجريمة أصحابه، ويعرفهم بالحقيقة التي أخفوها عنهم، وأخيرا يطلب منهم أن يغادروا المدينة. ذكرهم أيضا أنهم خدعوهم حينما قالوا أن الكاهن الأعظم يريد أن يحضر الرومان ليحتلوا المدينة. ورأي الأدوميون أنه في نظير الإساءة التي لحقت بهم عندما رفض الكاهن الأعظم وكبير الكهنة فتح أبواب المدينة لهم،

فأنهم قد قتلوهما والكثير معهم من سكان المدينة. في ضوء هذه الحقائق فقد قرر الأدوميون تحرير المواطنين المسجونين وقد بلغ عددهم 2.000 شخص، ففر هؤلاء جميعا ولجأوا إلي "شمعون بن جيوراس"، بعد ذلك انصرف الأدوميون عائدين إلي وطنهم"[138]. كان من شأن إفراج الأدوميون عن هؤلاء المساجين أن أحس المتشددون بأنهم قد ازدادوا عزلة فتصرفوا بمزيد من العصبية ونفاذ الصبر، فانطلقوا وقد زاد تعطشهم لدماء الشجعان من النبلاء ليقتلونهم[139]، وكان من بين هؤلاء "نيجر" الذي لم يستطيع الفرار فلقي مصيرا بشعاً "فقد تم سحله في طرقات المدينة، ولما وصلوا به إلي بوابة المدينة كان اليأس قد بلغ به منتهاه فتوسل إليهم أن يريحوه فيقتلوه، ويمنحونه قبرا يدفن فيه. لكنهم قالوا له أنه لن يمنحوا قلبه قبرا، وواصلوا قتله، وفي لحظة مقتله صب عليهم اللعنة لأنهم السبب في المجاعة التي حاقت بالبلاد وأنهم سبب دخول الرومان إليها ورعب الحرب الذي أفزع الجميع"[140].

بدا الأمر كما لو أن لعنات "نيجر" أصابت هدفها، فأخيرا ظهر "فسباسيان" المتمهل الذي طاول رجاله ولم يطيعهم ليستعجل القتال، وأخبرهم أن الانتظار سوف يجعل الكثير من اليهود ينفضون عن الحرب. ويعلق "يوسف" علي قول "فسباسيان": "أن الرب كان "جنرالا" أفضل من "فسباسيان" وقد سلم اليهود للرومان دون أي مجهود أو مخاطرة من جانبهم". ويجمل "يوسف" أسباب الهزيمة التي حلت باليهود في أنهم بدلا من تضامنهم قد خاضوا حربا أهلية ضد بعضهم قتلوا فيها بعضهم بعضاً بقسوة[141]. وقول "يوسف" علي عمومه مقبول وصحيح.

"عرف ضباط "فسباسيان" صواب تقديره للأمور ذلك أنه مع اقتراب "فسباسيان" بدأ الكثير من اليهود يفرون إليه من "أورشليم" هربا من جحيم المتشددين، ولم يكن الفرار عملا سهلا فقد كان الحراس منتشرون في كل ناحية. وكان كل من يجدوه بالقرب من الأسوار بلا عمل كانوا يذبحونه، لأنهم كانوا يعتقدون أنه سوف يفر إلي الرومان، لكنه إذا ما نجح في رشوتهم، عندئذ كانوا يسمحون له بالذهاب، أما من كان لا يستطيع تقديم رشوة للحراس فيعتبرونه خائنا ويقتلونه، وكان هذا هو السبب في أن الأغنياء استطاعوا أن يشتروا حريتهم ويهربوا أما الفقراء فهم الذين بقوا في المدينة حتى تم ذبحهم. وامتلأت التلال حول "أورشليم" بالموتى فقد كان الطريق شاقا وقرر معظم الهاربين أن يغيروا رأيهم ويموتون خلف أسوار مدينتهم. . وزادت وحشية المتشددين فلم يكونوا يسمحون لمن تم ذبحه أثناء الهرب بأن يتم دفنه. وخالفوا قانون الطبيعة وقانون السماء وصبوا غضبهم علي البشر فحرموا دفن الموتى وتركوهم تحت حرارة الشمس، وكانت محاولة أي شخص ليدفن أحدا من ذويه تكون عقوبتها الموت". وكان ما فعله المتشددون يحقق نبوءة قديمة كانت تؤكد أن الهيكل سوف يحترق وأن المدينة سوف تسوي بالأرض بمقتضى قانون الحرب، عندئذ فسوف يدخلها الغرباء وستكون يد أبنائها أول يد تدنس مقدسات الرب. كان هذا القول يؤمن به المتشددون، لكنهم رغم ذلك اتخذوا من أنفسهم أداة لتحقيقه"[142].

لما آنس "يوحنا بن لاوي" القوة في نفسه، بدأ يستقل بالقرار بعيدا عن بقية زعماء المتشددين، وقد تركه بقية المتشددين ليفعل ما يحلوا له وقد رأوا أن مغبة أفعالهم سوف تلقي عليه، لأنه هو الآمر بينهم والأعلى صوتا. علي كل حال صار الجميع يرغبون في وقوع الحرب، بغض النظر عن المعاناة التي يمكن أن تحدث لهم، فقد كان من الأفضل لهم قيام الحرب بدلا من أن يموتوا كالعبيد[143]. وفي نحو ذلك الوقت استطاعت "عصابة الخناجر" أن تستولي علي قلعة "الماسادا"، وهي تقع علي مسافة غير بعيدة من "أورشليم"، وشنوا منها غارة علي قرية قريبة وقتلوا كل من فيها وجمعوا كل ما بها من محاصيل ومؤن وصعدوا به إلي القلعة. في نفس الوقت "كان الفارون من "أورشليم" قد توافدوا علي معسكر "فسباسيان" يرجونه مهاجمة المدينة وإنقاذها من المتشددين. وشكوا من أن الكثيرين من أهل المدينة تم ذبحهم أما الباقون ففي هَمٍ عظيم. رق قلب "فسباسيان" لمن استنجد به من اليهود وانطلق إلي "أورشليم ليس لكي يدمرها بالحصار بل لكي يحافظ عليها بالحصار"[144].

انطلق "فسباسيان" وقواده نحو "أورشليم" وهم يحطمون جيوب المقاومة، فهاجموا "جادارا، **Gadara**" في 21 مارس 68 م. حيث قابل وفدا من أغنيائها عرض عليه تسهيل سقوط المدينة في يديه، لقاء أن يضمن لهم سلامة أملاكهم. وعلي ذلك فقد ترك لهم "فسباسيان" كتيبة لحماية المدينة، ومن جانبهم فقد قام أهلها بهدم أسوار مدينتهم طواعية ليضمنوا للرومان عدم تمردهم ضدهم. جاء دور "جيريكو، **Jericho**"، بعد ذلك وهناك تجمع الفارون من "جادارا"، وعلي حد قول "يوسف" فقد اضطر الرومان لقتالهم، واسر الرومان الكثيرين بعد أن أضرموا النار في القرية وذبحوا أكثر أهل البلدة، حتى امتلأ البحر الميت بالجثث القادمة من نُهير "بلاسيدوس" المار بـ "جيريكو". وتتسم نبرة "يوسف" بالهدوء الشديد وهو يتناول المذابح التي ارتكبها "فسباسيان" في "جيريكو" وما حولها ويخلو حديثه من أي استياء من هذه المذابح، وهي لهجة مختلفة عما يصف به المذابح التي قام بها الأدوميون" والمتشددون" و "السيكاري" والعصابات الأخرى[145].

استطاع "فسباسيان" خلال فترة وجيزة عزل "أورشليم، لكنه بمجرد وصوله إلي هناك علم بنبأ موت "نيرون" وبالصراع الدائر ما بين "جالبا" و "أوتو"، فقرر أن يتمهل في مسيره نحو "أورشليم" وأن يرسل ولده "ماركوس تيتوس" لكي يقدم ولاءه إلي "جالبا" كـ "إمبراطور للعالم الروماني. ذهب "تيتوس" و "أجريبا" لكي يقدما فروض الولاء لـ "جالبا" لكن عند وصولهما إلي بلاد الإغريق في طريقهما إلي روما علموا بأن "أوتو" قد حل محل "جالبا" فعاد "تيتوس" من حيث أتي إلي والده وقد واتته –علي حد تعبير يوسف- "نبضة إلهية"، ورأي كلاهما أن هذه هي اللحظة المناسبة لكي يستخدما جنود حملتهما علي اليهود ليهاجما أجزاءا أخري من الإمبراطورية في ظل هذه الظروف الدقيقة التي ينشغل فيها كل شخص بنفسه (يعني الإمبراطور الجديد وحكام الولايات)[146].

كان توقف "فسباسيان" عن السير نحو "أورشليم" فرصة لكي يقوم المتشددون بالاستعداد للتصدي له وهي ثاني فرصة تتاح لهم بعد هزيمة "كستيوس". كان تسلط "يوحنا بن لاوي" علي "أورشليم" سبب في خروج "شمعون بن جيوراس" منها لكي ينضم إلي "السيكاري" المتحصنين بقلعة "الماسادا". كان "السيكاري" ينظرون إلي "شمعون" بعين الشك، فسمحوا له بأن يبقي مع قواته في الجزء السفلي من القلعة دون الجزء العلوي؛ لكنهم ما لبثوا أن اطمأنوا له فصاروا يصطحبونه ورجاله في جولات سرقاتهم المعتادة علي المناطق المجاورة. وكان طموح "شمعون" لتنمية قوته بلا حدود وما أن توفي الكاهن "أنانوس"، حتى انسحب إلي التلال القريبة من القلعة حيث أعلن منح الحرية للعبيد وبذلك تجمع من حوله خلق عظيم من كل حدب صوب[147].

اتجه "شمعون" ليفتح بلاد الأدوميين ويهاجم المتشددين الموجودين في "أورشليم" بزعامة "يوحنا بن لاوي"، وساعده علي فتح أرض الأدوميين أن زعماء الأدوميين خصصوا معظم قوات جيشهم، واستولي علي "حبرون، **Hebron**". وبقية بلاد الأدوميين. وفي نفس الوقت تقريبا، اغتنم المتشددون فرصة انشغال "شمعون" وأسروا زوجه، فقد كان تضخم قوته سببا في أن يخشوا من مواجهته في حرب مفتوحة، ورأوا أنهم عندما يخطفون زوجه فسوف يلقي السلاح ويستسلم لهم. عاد "شمعون" من فوره، وقد صار مثل الوحش الجريح فحاصر "أورشليم" وأخذ منها بعض الأسري، وأشعل نارا عظيمة ثم بدأ يلقي بهم فيها، وأرسل باقي الأسري إلي المدينة بعد أن قطع أيديهم. وسري القول بأن "شمعون" قد أقسم بالرب "يهوه" الذي هو أعظم من كل شئ أنه سوف يهدم أسوار المدينة ويصب عقابه علي روح كل مواطن من المدينة ما لم يطلقون زوجه، ولن يستثني أي إنسان كبيرا كان أم صغيرا ولن يفرق ما بين بريئ أو مذنب. أصابت هذه التهديدات الجميع بالرعب ليس فقط سكان المدينة بل المتشددين أيضاً، حتى أنهم أرسلوا إليه بزوجه، فقرر أن يؤجل اقتحام المدينة وتدميرها[148].

كانت الأحداث تتابع في روما بسرعة فقامت الحرب الأهلية في "إيطاليا" حيث تم ذبح "جالبا" في 15 يناير 69م. ثم توفي "أوتو" في 17 أبريل عام 69 م.، وسيطر "فيتيليوس" علي زمام الأمور إلي حين. قرر "فسباسيان" مواصلة حربه في بلاد يهوذا فتحرك في 23 يونيو 68 م. ليفتح أرض يهوذا، بينما انتقل قائده "كيريياليوس، **Cerealius**"، إلي بلاد الأدوميين واستولي عليها. وفي طريقه إلي أورشليم، ذبح كل من صادفه في طريقه كبيرا أو صغيرا ولم يتبقى من أرض اليهود سوي "الماسادا" و "هيروديون" و "ماكايروس". لكن فتوحات الرومان لم تمنع "أورشليم" من السقوط في يد "شمعون"، فقد كانت المدينة تحت رحمته دون أسوار"[149].

وجد أهل "أورشليم" أن وقوع المدينة تحت رحمة "شمعون" أسوأ من الوقوع في يد الرومان، وكان أكثر من يخشونه هم المتشددون بالقطع واللاجئون من الجليل فقد كانوا هم الذين ساندوا "يوحنا

بن لاوي" حتى وصل إلي قمة السلطة، وخلال فترة توليه السلطة سمح للجميع أن يفعل ما يحلو له. وقد تمكنت غرائز المتشددين الجنسية منهم فكانوا يقتحمون منازل الأغنياء، فيقتلون الرجال ويتخذون من العبث بالنساء مسلكا لهم. وكان ما فعله هؤلاء المتشددون سببا في أن يجد من تبقي من الأغنياء أن ما فعله هؤلاء عار لا يمحوه غير الدم فتنكر بعض الأغنياء في أزياء النساء ووضعوا العطور والمساحيق، وقلدوا النساء . . . ولم ينس هؤلاء أن يضعوا سيوفهم بين طيات ملابسهم، وهكذا فمن أفلت من يدي "شمعون" من المتشددين فقد نالته سيوف الأغنياء المنتقمين لزوجاتهم.[150].

وكان هذا المأزق الصعب سببا في أن يهجر من تبقي من الأدوميين جانب حليفهم "يوحنا بن لاوي"، بعد أن كرهوا طغيانه وتسلطه عليهم، وما لبث أن اشتبك هؤلاء في قتال مع المتشددين وقتلوا منهم عدد كبير، واضطروا من تبقي منهم إلي أن ينسحبوا فلجأوا إلي قصر قريب يسمي قصر "جرابتي، **Grapte**"، ثم اندفع الأدوميون إلي الهيكل المقدس حيث اقتحموه واستولوا علي أملاك "يوحنا" الذي كان يتخذ من الهيكل المقدس حصنا له يضع فيه ما نهبه من كنوز. جمع "يوحنا" ما تبقي لديه من عناصر المتشددين وقرر أن يباغت الأدوميون وأهل المدينة معا بهجوم مضاد. كان الأدوميين أكثر خبرة بالقتال وأقل خوفا لذلك فقد قرروا أن يباغتوه ويهاجموا الهيكل المقدس ليلا ويسرقوا أملاك "يوحنا"، ومن أجل ذلك عقدوا اجتماعا مع "كبير الكهنة". لكن الرب أفسد تدبيرهم وجلب عليهم كارثة أعظم من دخول "يوحنا" المدينة فقد قرروا أن يستدعوا "شمعون" لكي يحل محل "يوحنا" ويطرده من المدينة. فأوفد المحاصرون "الكاهن الأعظم" "ماتياس، **Matthias**"، ليتوسل إلي "شمعون"، ليساعد أهل المدينة، ضد المتشددين الذين كانوا قد ضجوا من المتشددين الذين اقتحموا عليهم مدينتهم وسلبوهم أموالهم، ورجوه أن يصبح سيدا عليهم لأنه الوحيد القادر علي طرد المتشددين من المدينة. وكان من الغريب بعد ذلك كله أنه عندما دخل "شمعون" إلي المدينة نظر إلي الرجال الذين استنجدوا به لكي يدخل المدينة علي أنهم أعداء له[151]. دخل "شمعون" إلي أورشليم في حوالي أبريل/ مايو من عام 69 م. ودانت له بالسيادة فيما عدا الهيكل المقدس الذي كان المتشددون قد احتموا به، رغم التفوق العددي الكبير لصالح "شمعون"، إلا أن فشل في الاستيلاء علي الهيكل وذلك بسبب ارتفاعه وبناء المتشددين لأربعة أبراج خشبية عالية في الأركان الأربعة للهيكل تقريبا، صبوا من فوقها القذائف النارية علي "شمعون" وجنوده وأهلكوا وجرحوا منهم عددا كبيرا[152].

في ذلك الوقت كان "فسباسيان" يرصد دخول "فيتيلليوس" إلي روما بقواته، فجمع جنوده وضباطه لتدارس الوضع الجديد في العاصمة، أسفرت هذه المناقشات عن مناداة الفرق العاملة تحت يدي "فسباسيان" به إمبراطورا، واستمع "فسباسيان" إلي نصيحة مساعده المخلص "موكيانوس" وسارع باتخاذ الخطوات التي تكفل له السيطرة علي مصر، وأرسل إلي والي مصر اليهودي المرتد

"تيبريوس الإسكندر" ليخبره أنه يريد مساعدته ليصير إمبراطورا: "كان "تيتوس فلافيوس فسباسيان" متشوقا جدا لكي يصير إمبراطورا ولذلك أنفذ رسالة إلي "الإسكندر" يطلب فيها أن يساعده، وأن يحدد موقف قواته من الصراع ولما وصلت الرسالة قرأها "الإسكندر" بصوت عال، واستدعي الجنود والمدنيون أيضا وطلب منهم أن يقسموا يمين الولاء لـ "فسباسيان" ففعلوا مسرورين خاصة وهم يعلمون أصله ومدي كفاءته، وأعدوا كل شئ لأجل وصول القائد "فسباسيان، وتوالت بعد ذلك الأنباء عن انضمام العديد من الفرق في أرجاء العالم الروماني إلي صف "فسباسيان"[153].

"كان الحظ قد تحول إلي صف "فسباسيان"، ورأي أن ما حدث وراءه قوة إلهية ساعدته ووقفت إلي جواره، لكي تمنحه حكم الإمبراطورية، وتجعل مُلك العالم كله يصير إلي يديه، ومن بين كل أحداث حياته استرجع كلمات "يوسف"، الذي تنبأ له بكل ما سوف يحدث حتى عندما كان "نيرو" حيا ولم يكن هناك ما يدل علي تتابع الأحداث علي هذه الصورة. وصدمت "فسباسيان" فكرة أن يكون الرجل الذي تنبأ له بأن يصير إليه حكم العالم لا يزال مقيدا بأغلاله وبأمر منه، فأرسل علي وجه السرعة إلي "موكيانوس" وبقية ضباطه وقص عليهم النبوءة التي قالها "يوسف" له منفردا حتى أنه تشكك في صحتها، ومنعه الخوف من إفشائها، لكن الزمن أكد علي أن هذه النبوءة من مصدر إلهي. وعندئذ صاح أنه لشئ سئ أن يكون الرجل الذي نبأني بصعودي لقمة السلطة قد آل مصير الآن إلي السجن. استدعي بعد ذلك "يوسف" لكي يتم تحريره، بينما كان ضباطه يفكرون أن ما حازه هذا الأجنبي يفوق ما يحلمون به هم من تشريف. عندئذ قال "ماركوس تيتوس" إن العدالة تقتضي أن يسقط عن "يوسف" ما لحق به من عار مع تحريره"، ولذلك بدلا من تحريره فقط، علينا أن نحطم أغلاله بأنفسنا فيشعر كما لو أنه لم يوثق بقيد طيلة عمره. أثبت "فسباسيان" تقديره لـ "يوسف" عندما قام علي تحطيم أغلاله بنفسه مستخدما فأس، وبذلك فقد صارت مكانة "يوسف" السامية لدي الإمبراطور لا تقارن، ولم يعد يعاني أبدا"[154].

بعد ذلك أرسل "فسباسيان" قواته تحت قيادة "أنطونيوس بريموس" لكي يقُصي "فيتيلليوس" عن العرش، وأرسل قسما آخر ليتصدى لـ "كايكينا آلينوس" في موقعة "كريمونا" حيث انتصرت قوات "بريموس"، وتابع تقدمه حتي دخل روما وحاصر تل الكابيتول في 20 ديسمبر 69 م. هذا بينما كان "فيتيلليوس" يجلس يعاقر الخمر وقد صار موقنا من نهايته، وكانت نهايته مؤلمة فقد تم جره بين الحشود في شوارع روما وحاقت به الإهانات من كل نوع، وانتهي مآله إلي الذبح في قلب روما، في نفس الليلة تقريبا دخل "موكيانوس" إلي روما يصحبه "دوميتيانوس" وبدأ يتصرف في شئون الحكم في روما[155]. "كان من شأن تلك الحروب والمعارك أن تزيد من حرص فسباسيان وجعلته يحس بأهمية مصر وبدون أن يضيع الوقت التفت إلى الإسكندرية بكل انتباهه كي لا يستطيع فيتيلليوس أن يحتلها وأن يسوق الرومان لتأييده بأن يهصر روما بمجاعة". توجه "فسباسيان" إلي الإسكندرية

يصحبه "يوسف"[156]، بينما أرسل أبنه "تيتوس" إلي "أورشليم" ليستأنف الحملة التي بدأها هو نفسه. خرج "تيتوس" من مصر متوجها نحو "أورشليم" بعد أن أخذ معه فرقتين عسكريتين هما "الفرقة الخامسة عشر" وفرقة "أبوللیناریس"[157].

لم يكن من شأن هذه الأحداث المتتابعة التي شغلت الرومان عن الثورة اليهودية أن تفيد هؤلاء اليهود في شئ فقد كان هذا الوقت بالنسبة إليهم فرصة لمزيد من الانقسام والفوضى، حيث انقسم اليهود الموجودين في "أورشليم" إلي ثلاث جماعات. وقد ظهرت الجماعة الثالثة عندما انشقت جماعة من المتشددين بقيادة "إليعازر بن شمعون"، وهو الذي تسبب في الصدام ما بين أهل المدينة والمتشددين، قبل أن ينسحب إلي المعبد المقدس، وقد كون "إليعازر"، جماعة تابعة له واستطاع أن يسيطر علي الجزء الداخلي من الهيكل، ويطرد "يوحنا بن لاوي" من الجزء الداخلي، فتحصن هذا الأخير بالجزء الخارجي من فناء الهيكل، بينما كان "شمعون" يسيطر علي المدينة كلها[158]. "كان "شمعون" يسيطر علي أعالي المدينة وجزء من أسفلها، وأخذ يهاجم رجال "يوحنا بن لاوي" من أسفل منهم، وهكذا كان "يوحنا" محصورا ما بين نارين، (إليعازر بن شمعون و شمعون بن جيوراس) وكان يعاني من أنه أسفل "إليعازر" مما يعرضه لخطر من ناحيته وفوق "شمعون" الذي يسد عليه طريق الخروج. وعلي ذلك فبينما كان يصد الرماح التي يقذفونها عليه من أسفل فقد كان يعاني من القذائف النارية التي تتساقط عليه من أعلي. وكان من الطبيعي أن يموت الكثير من اليهود المصلين وهم يقدمون الأضحيات في الهيكل المقدس بسبب هذه القذائف المتبادلة بين الفرق الثلاث، و أرتوي المذبح المقدس من دماء اليهود التي اختلطت بدماء الأضحيات علي المذبح. تجمعت الدماء حتى كونت حوضا من الدماء في فناء "الرب"، هل يوجد شقاء يعادل هذا، هذه المدينة التي سقطت في يد الرومان بعد ذلك قد أضرمت فيها النيران حتى لوثت هيكلها؟[159].

أدت الحرب الأهلية المشتعلة بين الفرق الثلاث إلي أن خيم شبح المجاعة علي "أورشليم"، وشدد كل واحد من زعماء الفرق الثلاث ويسميهم "يوسف" هنا "المتآمرون ضد المدينة"، هجومه علي من هو أسفل منه، فواصل "إليعازر" توجيه ضرباته إلي "يوحنا" ولم يتوانى الأخير عن توجيه ضربات موجعة إلي "شمعون"، الذي أحكم من ناحيته سد مداخل ومخارج المدينة حتى يمنع ورود الإمدادات إلي عدويه. رأي "يوحنا" أنه لو استطاع التخلص من الهجمات المؤلمة التي يشنها عليه "إليعازر" فسوف يكون في مقدوره أن يتفرغ لقتال "شمعون"[160].

كانت هذه الحرب الثلاثية تزيد من متاعب سكان المدينة، التي تمزقت بين الخصوم، حتى أخذ العجزة من الرجال والنساء يضرعون للرب يهوه حتى يعجل بقدوم الرومان. . . . عم الحزن "أورشليم" ولم يكن لحياة أهلها قيمة، ولم يكن من حق أهلها أن يبكوا قتلاهم، وغلب الخوف علي كل ما عداه من عواطف، ولم يعد هناك من يهتم بشيء حتى أنه لم يكن هناك من يهتم لدفن القتلى.

كان هذا يحدث بينما الفرق المتصارعة تلقي بجثث الموتى علي بعضها بعضا. لم يتوقف أطراف الحرب عن وضع الخطط وابتكار الطرق لقتل بعضهم، حتى أن "يوحنا" تعدي علي الهيكل المقدس واتخذ من جذوع الأشجار (التي كان الهيكل مبني بها) أداة للحرب. وكان أهل المدينة وكبير الكهنة في السابق قد اتفقوا علي أن يوسعوا الهيكل ويزيدوا ارتفاعه إلي 20 كوبيت[161]، وقد قام الملك "أجريبا" بالإنفاق علي هذا التحسين واستحضر الأشجار من جبال "ليبانوس، لبنان. وقد حالت الحرب دون إتمام العمل، وقد وجد "يوحنا" أن هذه الجذوع طويلة بما فيه الكفاية لكي يستخدمها في الوصول إلي أعدائه في القسم الأعلى من الهيكل عن طريق صنع "برج" منها، وذلك بوضعها في نهاية الفناء الخلفي المقابل للحائط الغربي، وكانت هذه هي الطريقة الناجحة الوحيدة لكي يصل إلي الجانب الآخر ويوقف سيل القذائف المنهمر عليه[162].

كان "تيتوس" يواصل سيره متمهلا إلي "أورشليم" علي رأس أربع فرق، كان ثلاث منها ترافقه هي الفرق "الخامسة" و "العاشرة" و "الخامسة عشر". وهي التي كانت تحت قيادة والده فضلا عن الفرقة الثانية عشر التي كانت قد انهزمت من اليهود تحت قيادة "كستيوس". كان هناك أيضا قوة كبيرة من القوات المساعدة قد أتت لتعاونه من أهل سوريا... وكان هناك الصديق الأكثر ولاءا للرومان وهو "تيبريوس الإسكندر" والي مصر السابق، (واليهودي الذي تحول قبل سنوات إلي الوثنية)، قد أصر علي مرافقة "تيتوس"، علي رأس القوات الرومانية والإغريقية التي تم جمعها من مصر وبلغت نحو ألفين من الجيش الروماني في الإسكندرية و ثلاثة آلاف تم جمعها من "إيوفراتيس". ووضع "تيبريوس الإسكندر" خبرته الحربية السابقة لمساندة "تيتوس"[163]. كانت المجموعة الاستطلاعية الرومانية بقيادة "تيتوس"، علي موعد مع مفاجأة غير سارة حين باغتها عدد من اليهود من أحد أبراج "أورشليم" ويسمي "برج النساء"، وقد فوجئ الرومان بانهمار الأحجار والقذائف عليهم فانسحبوا بسرعة ومر وقت قبل أن تدرك المجموعة المنسحبة أن "الأمير تيتوس"، لم يتمكن من أن يفعل مثلهم، صاح الأمير برجاله أن يعاودوا الهجوم ليغطوا انسحابه ولم ينجو الأمير إلا –علي حد تعبير يوسف- برعاية الرب. نشر الأمير بعد ذلك قواته حول "أورشليم" لمحاصرتها[164].

بينما كان بعض اليهود يناوشون قوات "تيتوس" خارج "أورشليم" استطاع "يوحنا بن لاوي" أن يتخلص من "إليعازر" ورجاله، "عندما فتحوا باب المعبد لبعض مواطني المدينة المتلهفين علي التعبد ليحتفلوا بعيد الشكر، اتخذ "يوحنا" من العيد "عباءة" لكي يقوم بخدعته حيث استطاع أن يدس بعض من أتباعه وهم مزودين بأسلحة تحت ملابسهم، فدخلوا المعبد دون حتى أن يكونوا طاهرين، واستطاعوا أن يحتلوا نقاطا هامة في المعبد، ومع تمكنهم من مراكزهم تحولت ساحة الهيكل إلي فوضي وقتال بين الطرفين حيث شن المتشددون من أتباع "يوحنا" هجومهم دون تفرقة علي كل

الموجودين في الهيكل. كان من أثر ذلك أن تخلي أتباع "إليعازر" عن حراسة باب الهيكل واشتركوا في قتال قوات "يوحنا". كان القتال يدور بينما زوار الهيكل المقدس محصورين ما بين الفريقين المتصارعين فمات منهم الكثير علي المذبح تحت أقدام هؤلاء وأولئك أو من أثر طعنات السيوف والرماح. وكان أي شخص من الأبرياء في هذا اليوم عرضة لأن يعتبره الطرف الآخر من الأعداء فيأخذه "المتآمرون" المعروفين من قبل باسم المتشددين ويذبحونه. . . وبينما يحدث ذلك للأبرياء فأن الدخلاء منحوا المجرمين فرصة وتركوهم يدخلون، وبذلك سيطر "يوحنا" علي الفناء الداخلي، وعلي المخازن التي يمكن أن تساعده علي الصمود ضد "شمعون"، وتقلص عدد الفرق المتناحرة إلي فرقتين"[165].

كان "تيتوس" لا زال يحكم حصاره بهدوء شديد وقد تعلم من أبيه أن تمهله سوف يجعل سقوط المدينة في يديه أكثر سهولة، بسبب خلافات اليهود. يملأ "يوسف" بعد ذلك فصولا كثيرة بتقديم وصف تفصيلي للقدس[166]. واصل "تيتوس" تقدمه ببطء نحو المدينة لأجل حصارها. كانت المدينة في ذلك الوقت مزدحمة بالمقاتلين فقد كان هناك، "شمعون" ومعه 10.000 رجل من الأدوميين، ومعهم حلفاءه وعددهم 5.000 رجل وهناك أيضا الرجال الذين كانوا تحت أمرته عند احتلال المعبد وعددهم 6.000 رجل، وانضم إلي المتشددين جيش يقدر بـ 2.400 رجل بقيادة "إليعازر بن شمعون" و "شمعون بن أرنيوس". وهذين الحزبين كما أوضحنا كانا في حرب مع بعضهما بعضا، وكان شمعون يحتل أعالي المدينة والسور الكبير حتى "كيدرون" و "السور القديم"[167]. تابع "تيتوس" اختيار المواقع التي يريد أن يبني عليها آلات حصاره. وبدأ المحاصرون يحاولون أن يقذفوا الجنود الرومان الذين يشيدون الآلات والكباش الرومانية، وحاولوا مرات مهاجمة أو حرق هذه الآلات دون جدوى. سقط بعد هجمات قليلة "سور أجريبا" الأول وذلك يوم 25 مايو 70 م. وأقام "تيتوس" معسكره عند "سور الآشوريين". وكان سقوط هذا السور بمثابة نذير سوء فخاض اليهود قتالا عنيفا يائسا، وتحول القتال إلي التحام مباشر يدا ليد، ورغم ضراوة القتال كان التفوق للرومان. تتابع تقدم الرومان وبعد خمسة أيام سقط الحائط الثاني في 30 مايو 70 م.، لكن سرعان ما تم طردهم علي يد أهل المدينة، وأخيرا استعاد الرومان السيطرة علي الحائط من جديد[168].

عاد الرومان من جديد لاستئناف بناء آلات الحصار أمام "أنطونيا" وقبر "يوحنا"، وبينما كان المحاصرون يراقبون "تيتوس" وجيشه، "أتاهم "يوسف" ودار حول السور. . . ووقف علي حد قوله يخطب في "آذان مُغلقة" ليزين لهم الاستسلام للرومان، ودعاهم لكي ينقذوا أنفسهم وبلادهم وهيكلهم. وكان مما قاله في خطبته هذه: "الحظ بالفعل في جانب الرومان، والرب الذي دار بين البشر يعطي لكل منهم حكم العالم قد استقر الآن في إيطاليا. يوجد بالفعل قانون ثابت ومستقر ومعمول به وهو أن الحق في جانب الأقوى، وأن السيادة تكون لمن يملك السلاح. وهذا هو السبب الذي يجعلهم

يتفوقون علينا فهم رجال يساندون بعضهم بالروح والقوة وبالمال وكل ما لديهم. وصاح قائلاً للرومان قولة لم تكن معهودة أو متوقعة بالنسبة لهم منه: "أن الرب في جانب الرومان". وحذرهم بأنه من المستحيل مقاتلة الرومان والمجاعة في نفس الوقت. انطلق "يوسف" بعد ذلك ليروي لهم رواية طويلة عن دروس التاريخ وعظاته منذ قصة نبي الله "إبراهيم والسيدة سارة مع فرعون مصر مرورا، بقصة خروج اليهود من مصر ثم استعمار أرض الفلسطينيين وقصتهم مع الملك "سنحريب صليبا" و "قورش" و "أنطيوخوس الرابع إبيفانيس" وبومبي وهيرود الكبير و "سوسيوس"[169].

ولا يسكت "يوسف" عن محاولاته حمل اليهود علي التسليم فيضيف إلي عبارته التي قالها في بداية خطبته "أن الرب في جانب الرومان" عبارة أخري أشد وقعا وأغرب وهي: "عندما أتي البابليون لغزو مدينتنا واستولوا عليها وأحرقوا الهيكل، برغم أن اليهود لم يكونوا مخطئين بقدر أكبر مما أنتم عليه الآن. فأنني أري علي ذلك أن الرب قد هرب من الأماكن المقدسة واتخذ جانب القوم الذين تحاربونهم (يقصد الرومان)". وهي العبارة التي يعلق عليها "زاكيراي"، بقوله أن يوسف أراد أن يقول لهم "أن الرب قد هرب إلي الرومان"[170]. ولعله من المشكوك فيه أن يكون "يوسف" بقادر علي أن يتلو هذه الخطبة الطويلة، فهو بعد قليل لن يلبث أن يفقد القدرة علي الصياح بصوت عالي لفترة طويلة أو يفقد تسلسل الأحداث التاريخية التي أنفق فصولا عديدة ليرويها. وهذه الخطبة يمكن ضمها إلي أدوار البطولة المزعومة التي اعتاد علي نسبتها لنفسه مغتنما فرصة كونه الشاهد الوحيد علي ما حدث.

يروي "يوسف" أنه كان من أثر خطبته هو أن عددا من اليهود بدءوا يهجرون المدينة ويلوذون بالرومان، "فقاموا ببيع ما يملكون من أملاك وأشياء ثمينة وكانوا يبتلعون الذهب الذي باعوا به ممتلكاتهم لكي لا يكتشفه أحدا معهم، ثم يهربون إلي الرومان، حيث ترك "تيتوس أكثرهم ليتجهوا بعيدا عن موقع الحرب". وهكذا كان علي أتباع "يوحنا" و "شمعون" أن يبقوا عيونهم مفتوحة ليراقبوا الراغبين في الفرار إلي الرومان أكثر من مراقبة الرومان (أعدائهم) أنفسهم. كان من تبقي في المدينة مصيره هو الموت المحتوم فالكثيرين تم قتلهم طمعا في أملاكهم، وزادت المجاعة من جنون المحاصرين، وخرجت قوات "شمعون" و "جون" بسبب المجاعة تمشط المدينة منزلا تلو الآخر بحثا عن الطعام. ومع عدم وجود الطعام الكافي بدأوا يصبون جام غضبهم علي الأغنياء الباقين في المدينة، واتهموهم بأنهم يريدون خيانة أهل المدينة وتسليمها إلي الرومان[171].

كان "تيتوس" يرغب في إسقاط المدينة دون إزهاق أرواح جنده، ولذلك بدأ يهدد سكانها فقبض علي بعض الهاربين وقطع أيديهم، وأرسل بهم إلي "شمعون" و "جون". وبحلول الساعة الحادية عشر من اليوم طلب منهم "تيتوس" أن يتوقف المحاصرون عن المقاومة وأن ينقذوا أنفسهم ومعبدهم وهيكلهم. في نفس الوقت خرج إلي العمال يطلب منهم أن يسرعوا ببناء آلات الحصار، حتى يتأكد

اليهود من تمسكه بقتلهم إن رفضوا التسليم. رد المحاصرون علي هذه الرسالة بصب اللعنة علي "القيصر"[172]، نفسه وعلي أبيه، وصرخوا بأعلى صوتهم أنهم سوف يقاتلون الرومان ما دام بهم نفس يتردد. ولم يعد المحاصرون يهتمون بشئ حتى بمدينتهم، وأن العالم هو معبد للرب أفضل من هذا الموجود في مدينتهم[173]، لكنهم قالوا بعد ذلك أن الرب سينقذ معبده[174]. حدث بعد ذلك ما لم يكن يتوقعه أحد فقد قرر "يوحنا بن لاوي" و "شمعون" أن يتضامنا معا، وقد أسفر عن تضامنهم هذا عن بعض الإزعاج للرومان، حيث أحرق جنود "يوحنا" إحدى الآلات، وهاجم جنود "شمعون" بعض الجنود، واستولي اليهود علي معسكر روماني، وهو ما اضطر معه "تيتوس" لمهاجمتهم واستعادة المعسكر من جديد. اجتمع "تيتوس" مع مجلس حربه، وكان من أهم قرارات هذا المجلس هو إحاطة "أورشليم" بسور ليسجن من بها. في نفس الوقت كان الموتى يتزايدون داخل المدينة ، وتشتت الباقون ما بين مقاومة الحصار ودفن الموتى فترتب علي هذا الوضع الصعب أن أهمل المحاصرون دفن موتاهم فامتلأت المدينة بجثث القتلى[175].

كان المحاصرون قد ضاقت بهم السبل وصاروا يتوجسون من كل إنسان، فقد حدث أن أتهم "شمعون" ، أحد زعماء اليهود وهو "ماتياس بن بويثوس" وهو الذي مر ذكره سابقا بأنه هو الذي اقترح علي أهل "أورشليم" وقد تجبر عليهم "يوحنا بن لاوي" أن يستدعي "شمعون" لطرده، لكن "شمعون" كما هو معلوم أساء معاملة من استنجد به، واعتبرهم أعداء له، مثل الذين حاربوه عند دخوله. وأخيرا فقد قتل "ماتياس" ومعه ثلاثة من أبنائه، بعد أن أتهمهم بالانحياز إلي الرومان، علي حين فر الابن الرابع إلي "تيتوس". وعندما كان "شمعون" علي وشك إعطاء الأمر بذبح أبناء "ماتياس" طلب منه، أن يذبحه أولا ولا يجعله يري بعينيه ذبح أبناءه وذكره بأنه هو من فتح له أبواب "أورشليم" ، عندئذ فقد أمر "شمعون" بأنه يجب أن يتم ذبحه في النهاية حتى يتعذب برؤية أبنائه يذبحون أمام عينيه. وتم ذبحه أمام عيون الرومان، وكان "شمعون" قد أعطي تعليمات "حديدية" إلي "أنانوس بن باجداتيس" بأن يجعل الخونة يرون هل الرومان الذين هجرونا لأجلهم سوف يساعدونهم" ، ورفض السماح بدفن جثثهم[176].

ولا يتوقف "يوسف" عن تقديم مفاجآت غير متوقعة، فيتضح أن والده مسجون في "أورشليم" و "يدرك قادة المدينة أهميته فلا يدعونه في نفس السجن فترة طويلة وينقلونه من مكانه باستمرار، وذلك خوفا من تدبير مؤامرة لتهريبه"[177]. ووجه المفاجأة هنا هو أن والد "يوسف" بين هذه الأحداث لا يحظى منه بأكثر من هذه الأسطر القليلة فلا يتضح علي وجه اليقين ما هو مصيره بعد ذلك ولا يفكر في محاولة إطلاق سراحه أو التفاوض حول ذلك أو أن ينفق عددا أكبر من الأسطر في إبداء قلقه عليه. وهو في معرض حديثه عن أسماء بعض المسجونين يذكر في نهاية القائمة أن "من بين هؤلاء المسجونين والد "يوسف" كما اعتاد أن يتحدث عن نفسه.

في ظل هذا الحصار الخانق وعزوف العديد من اليهود داخل "أورشليم" عن التفكير في المقاومة أجتمع بعضهم سرا ليحاول تسليم المدينة للرومان وذلك في ظل اعتقاد أكثر أهل "أورشليم" أن الرومان سوف يكونون أكثر رحمة ورفقا بهم من المتشددين. وعلي ذلك قرر الضابط "جوديس بن شمعون" أن يسمح للرومان بالدخول إلي المدينة لكونه يقود الحراسة علي أحد الأبراج. "تحدث "جوديس" مع عشرة من الرجال العاملين تحت سيطرته ممن يضمن ولائهم وقال لهم "حتى متي سوف نتحمل ذنب هذه الجرائم . . . بسبب محافظتنا علي ولائنا لهذا الشرير (يقصد شمعون بن جيوراس)، ليست المجاعة فقط هي التي تحاصرنا بل أيضا الجيش الروماني الذي دخل ضواحي المدينة، ولم يعد "شمعون" حاميا لنا. ليس لدينا سبب لنخشى من أن يعاقبنا، بينما الرومان أناس يمكن الوثوق بهم، تعالوا دعونا نسلم موقعنا وننقذ أنفسنا ومدينتنا، سوف لن يعاني كثيرا لو أنه فقد حياته أو واجه محاكمة. . . وفي صباح اليوم التالي تحرك الرجال العشرة من أماكن مختلفة حتى لا يتم اكتشاف أمرهم، وفي حوالي الساعة الثالثة (من اليوم)، استدعي الرومان من البرج. لم يكن الرومان مستعدون لتلبية النداء ولم يفهم بعضهم ما هو المقصود بالإشارة. وعلي أية حال فبينما كان "تيتوس" يستعد ليعبر السور بمجموعة من قواته، استلم شمعون إشارة لكي يعيد الاستيلاء علي البرج في الحال. لبي "شمعون" النداء وذبح الخونة علي مرأى من الرومان، وبعد تمزيق أجسادهم ألقي بهم من فوق الأسوار"[178].

"وبينما "يوسف" يواصل جولاته حيث كان لا يكل في نصحه (لليهود بالتسليم)، ضُرب بحجر شج رأسه، فسقط من فوره (بلا حراك). أسرع اليهود المحاصرون يحاولون جره إلي داخل المدينة، ولم يكن "القيصر (تيتوس)" قد أرسل دورية لإنقاذه. وبينما الصراع يدور عاد يوسف إلي وعيه، فأحس بما يدور من حوله فوجد الثائرين وهم يصيحون فرحين لأنهم اعتقدوا أنهم قتلوه فقد كانت دمائه تنزف بغزارة. وملأت الإشاعة المدينة بأنه قتل فحزن الكثيرين لأنه هو الذي كان يعطيهم أملاً في الهروب من الحصار. سمعت أم "يوسف" وهي في السجن عما حدث له (وها هي المفاجأة الأخرى أن أمه أيضا سجينة في "أورشليم")، فعلقت بقولها: "لقد كنت واثقة من ذلك، لم يصبني سرور من هذا الابن طوال عمري"، لكن قيل أنها بعد أن انفردت بنفسها قالت: "هل هذا هو ما جنيته من تربة أبني، فها أنا مجبرة علي إنكار حزني علي دفنه لأجل أولئك الذين أتمني رؤيتهم يدفنون". وقد تلقت بعدها الأنباء التي تخبرها بأنه حي بفرح بالغ. لكن "يوسف" سرعان ما تمالك نفسه من الضربة، وتقدم نحو أعدائه أنه سوف يعود لينصح أهل المدينة بالهروب سريعا، وطلب من أهل المدينة أن يقبلوا "أمانه" الذي يعطيهم إياه لو خرجوا من المدينة"[179].

لم يلق الهاربون مصيرا يفضل المحاصرون فقد وقعوا ضحية لعسف من أتي من العرب والسوريون الذين أتوا مع الجيوش الرومانية لتصفية حسابهم مع اليهود، وكان من شأن ذلك أن بثوا

الرعب بين اللاجئين فقتلوا بعضهم واغتصبوا النساء اليهوديات وفعلوا بذلك نفس ما فعله اليهود المتشددين في نساء أغنياء اليهود داخل أورشليم أثناء الحصار. عندما علم "تيتوس" بما حدث لليهود الفارين من المدينة فقد خرج بقواته لكي يرد الظلم عنهم. كان هذا يحدث بينما كان "يوحنا بن لاوي" قد قرر "أن يوزع ما هو موجود في الهيكل المقدس من نفائس وهدايا قدمها له اليهود وحتى "أوكتافيانوس أوجسطس"، نفسه الذي كان يحترم معبد "يهوه". وزع "يوحنا" هذه النفائس علي رجاله، فقد كان يري أن من دافعوا عن الهيكل يستحقون أن ينالوا جائزتهم من أمواله. وعلي ذلك فقد سكب كل قطرة من النبيذ النقي وكل الزيت الذي كان يتم صبه فوق القرابين، وقام بإعطائه إلي رفاقه الذين أخذوا يشربون منه دون أن يعترضوا علي ما فعله. ولا أستطيع أن أصف شعوري تجاه ما فعلوه فلو تأخر الرومان في عقاب هؤلاء لانفتحت الأرض وابتلعت المدينة أو لأتي فيضان ومحاها (أورشليم)، أو لأتتها صاعقة مثل التي أصابت أرض "سدوم". ذلك أن هذه الأرض قد أنجبت جيلا يكفر بالرب، أكثر من ضحايا (سدوم). ذلك أن هؤلاء الرجال المهووسين قد جروا الناس إلي الخطيئة"[180].

في ختام الكتاب السادس من الحرب اليهودية، ينصرف "يوسف بعد ذلك إلي تقديم تقرير عن عدد القتلى من اليهود خلال الفترة السابقة من جراء الحصار، ويقدر عدد من ماتوا بالقرب من بوابة واحدة من بوابات المدينة بـ 115.800، وكان كل هؤلاء من فقراء اليهود، ويقدر إجمالي عدد جثث الفقراء التي تم إلقاءها من فوق الأسوار خلال الحصار السابق بـ 600.000 جثة. ويقدم عدد ضخم غير محدد لبقية القتلى الذين تم دفنهم[181].

استأنف الرومان كالعادة بناء آلات الحصار حول "أنطونيا"، ومن جانبهم استأنف اليهود مهاجمة هذه الآلات، واستطاع اليهود أن يهدموا حوائط "أنطونيا" ليجدوا حوائط أخري من خلفها، وعبر أيام عصيبة من منتصف "يوليو وحتى بداية أغسطس من عام 70 م. كانت مدينة "أنطونيا" قد سقطت في يد الرومان وتم تسويتها بالأرض. كان سقوط "أنطونيا" فرصة جديدة لـ "يوسف" لكي يخطب في المحاصرين في "أورشليم" ليحضهم علي تسليم أنفسهم للرومان. وفي هذه المرة وجه "يوسف" خطبته إلي أكثر اليهود بغضا إلي قلبه[182]، فقد قرر مخاطبة "يوحنا بن لاوي" ورجاله ليقنعهم بالتسليم، وكان يأمل أن يكون لها أثر مثل الرسائل التي كان يرسلها قيصر باللغة العبرية، (يصححها المترجم إلي الآرامية)، تطلب منهم إنقاذ أنفسهم ومدينتهم وأن يخمدوا المشاعل التي أشعلوها ليحرقوا الهيكل المقدس، ويعيدوا إلي الرب مقدساته. قوبلت كلماته بالإهمال والصمت، لكن الطاغية (أي يوحنا)، بعد أن سب "يوسف" ولعنه ختم قوله بأنه لا يخشى أبدا من أن يقع في الأسر طالما أن المدينة ملك للرب". عندئذ صاح "يوسف" (ساخرا)، لقد تركت المدينة حقا طاهرة لأجل الرب، والمكان المقدس بالفعل لم يُدنس. منذ أن حبست نفسك فيه وأنت تطعم من قرابين

(الرب)، المقدسة. أيها التقي هل يستطيع أحد (من رجالك) منعك من الحصول علي طعامك اليومي، عندئذ فسوف تعتبره عدوا لك؛ (المقصود أنه يأكل الخبز الذي يريد الرب نفسه أن يأكله)، والآن تريد أن يكون الرب الذي تعديت علي حرمته واقفا إلي جوارك في الحرب ضد الرومان. وهل تريد أن تلقي بخطاياك علي الرومان الذين لا يزالون حتى اليوم يحترمون قوانيننا، والذين يحاولون أن يرغموك علي أن تعيد إلي الرب ما نهبته من مقدساته "[183].

بلغ التأثر بـ "يوسف" مبلغه مع نهاية خطبته هذه حين قال مخاطبا "يوحنا" ومن معه قائلا: "مرة أخري هل أنت مصر علي أن تلقي تبعة خطاياك علي، وأنا الذي استحق منك معاملة أفضل لأنني أقدم لك النصيحة وأصارع لكي أنقذك من المصير الذي قضي به الرب علي الذين لعنهم. من الذي لا يعلم ما الذي قاله الأنبياء القدماء من نبوءات تهدد بخراب هذه المدينة التعسة وهي النبوءات التي علي وشك أن تتحقق؟ فقد قالوا أنها سوف يحتلها الأجانب عندما يقوم من بين أبنائها من يذبح شعبه "[184]، وها هي ذا الحقيقة فلم تمتلئ المدينة (حرفيا عين المدينة) بالجثث بل لقد ملأت الهيكل المقدس نفسه بالجثث؟ الرب عندئذ، الرب نفسه. الذي هو الآن في صف الرومان سوف يجلب النار ليحرق هذا الهيكل والمدينة لكي يطهرها من الخطايا. وعند هذه الكلمات، اختنق صوت "يوسف" بالدموع، ولم يكمل خطبته "[185].

كان من أثر خطبة "يوسف أن بدأ عدد من أغنياء اليهود في مغادرة المدينة، وقد طلب "تيتوس" من هؤلاء أن يرافقوا "يوسف" في جولاته اليومية حول الأسوار ليقنعوا بقية أهل المدينة أن يستسلموا له، لكن طلبهم هذا قوبل بالرفض، وهو ما جعل "تيتوس" يخاطب "يوحنا" ورجاله قائلا: "أليس هو أنت الذي أثرت القتال والفوضى أمام هيكلك المقدس؟ أليس نحن الذين منعنا أي إغريقي أن يمر لكي يدخل للهيكل؟ وقررنا أن من يفعل ذلك يكون مستحقا للموت حتى لو كان رومانيا؟ لماذا أنت الآن تدنس "هيكلكم" المقدس بأن تدخل فيه الجثث التي تطأها الآن بقدمك؟ لماذا تترك الآن هيكلك لكي تدنسه الجثث بدماء اليهود والأجانب؟ أنني لأدعو آلهة أبي لكي يشهدوا وأي آلهة أخري علي الحال الذي صار إليه هيكلكم الآن. والآن أشهد جيشي واليهود الحاضرين جميعا علي أنك أنت الذي تدنس هذه المقدسات وليس أنا. لسوف لن أتبع شريعة الحرب ولن أدع الرومان يقتربون من أماكنكم المقدسة أو يدنسوها، لا.. سوف أحفظ لهم المعبد سليماً ضد إرادتك "[186]. وهذه الخطبة وبضع تصرفات وحوادث أخري هي التي يرتكن عليها "يوسف" في تبرئة "تيتوس" و "فسباسيان" من جريرة حرق المدينة وتدمير وتدنيس هيكل سليمان. وتثير كلمات "يوسف" عن آلاف الجثث الملقاة الكثير من اللغط فهل بقيت هذه الجثث مكشوفة هكذا في الصيف في شهر "أغسطس" دون أن يصيبها العفن فتتحلل، وكان هذا يعني انتشار أمراض مميتة ربما كان الطاعون أشهرها وهو الأمر الذي تكرر حدوثه في العالم القديم. لكن "يوسف" يدور في مساجلات بلاغية عن الجثث الملقاة في العراء ولا

يعرض نتيجة لهذا الإهمال الجسيم الذي يمكن أن يؤدي بحياة الجميع، وهو ما يساند افتراض عدم صدقه في تناثر الجثث علي هذه الصورة الوحشية في أكثر أشهر الصيف حرارة، دون أن يتسبب ذلك في حدوث أوبئة تعصف باليهود والرومان معا.

شن الرومان بعد ذلك الهجمات المتتابعة ليلا نهار ضد المدينة المحاصرة. وفي وسط هذا القتال اشتعلت النيران في "مدخل الهيكل"، الملاصق لـ "أنطونيا" وذلك لكي يمنعوا الرومان من اقتحام الأماكن المقدسة. وكان ذلك في 15 أغسطس 70 م. وامتد الحريق من "المدخل" إلي سائر المبني، واستمر القتال الدامي قرر "تيتوس" شن هجوم جديد علي المدينة وتفشل السلالم والكباش في اقتحام الأسوار حول المدينة حتى 27 أغسطس 70 م.[187].

يأمر "تيتوس" بإضرام الحريق في أبواب الهيكل وينتشر الحريق منها إلي "مدخل" الهيكل، ولما لم يستسلم اليهود يعقد "تيتوس" المجلس العسكري الأعلى للنظر في أمر حرق الهيكل المقدس نفسه وكان المجلس يتكون من ست قادة برئاسته وكان الرجل الثاني من بعده في هذا المجلس هو "تيبريوس الإسكندر". كان رأي بعض أعضاء المجلس أن قانون الحرب يجب أن يسري علي المدينة، حيث أن اليهود لن يتخلوا عن عصيانهم طالما أن المعبد قائم وسليم. البعض الآخر رأي أنه ما لم يتخذ منه اليهود مقر لوضع الأسلحة أو محاربة الرومان، فيجب أن يبقي المعبد سليما. لكن إن استعمله اليهود للحرب فهو إذا لم يعد معبد بل جزء من ميدان القتال، ويحق عليه ما يحق علي ميادين الحرب. أعرب "تيتوس" عن رأيه وقال أنه حتى لو تسور اليهود المعبد وحاربوه من فوقه فهو لن يقاتلهم ويحرق المعبد، ولن يحرق تحت أي ظرف من الظروف هذا الأثر (حرفيا العمل) العظيم. لأن هذه الخسارة سوف تؤلم الرومان لأن هذا المعبد الجميل مفخرة للإمبراطورية حيث هو. وقد انحاز إلي رأيه ثلاثة من قواده هم "فرونتو" و"يوليوس الإسكندر" و "كيريناليوس، وأعطي أوامره بإبعاد النيران. ومن المدهش أن يلقي "يوسف" بتهمة حرق "الهيكل" علي المتشددين، بينما يري "ديو كاسيوس" أن الرومان هم من قاموا بحرق المعبد[188].

لكن مع تطور القتال فقد امتدت النيران إلي المعبد واحترقت نفائسه، وفشلت محاولاته في إخماد النيران، وهلك في حريق الهيكل وحده 6.000 امرأة وطفل، ويقطع "يوسف" رواية أحداث حريق المعبد ومن هلك فيه من اليهود برواية النبوءات القديمة عن خراب المدينة واحتراق المعبد. استسلم بعد ذلك الكهنة المتحصنين في الهيكل، مرت بعد ذلك الأيام وفي اليوم الخامس نزل الكهنة ليسلموا أنفسهم إلي "تيتوس" ليحصلوا علي عفوه لكنه أخبرهم بأن وقت العفو قد أنتهي وأمر رجاله أن يذهبوا بهم حيث يتم عقابهم"[189].

طلب "شمعون" و"يوحنا" بعد ذلك أن يتحدثا إلي "تيتوس"، وكانا قد انهزما وحوصرا عند سور من أسوار المدينة، ولما لم يكن لديهم ثمة أمل في الهروب. وقف "تيتوس" من موقع قريب ليتحدث معهما، ووقف حشد من الناس علي الجانبين، فقد تحلق اليهود ليعرفوا ما مصيرهما، بينما تحلق الرومان حول "تيتوس" ليسمعا ادعاءات "شمعون و "يوحنا". تحدث "تيتوس" أولا فألقي خطبة طويلة، حمل فيها "شمعون" و "يوحنا" مسئولية هلاك كل هذا العدد الكبير من اليهود واحتراق المدينة والهيكل. واستعرض السياسة الرحيمة التي ساس بها الرومان الشعب اليهودي منذ أن فتح "بومبي" البلاد، وأخبرهم أنها المرة الأولي التي يستخدم الرومان القوة ضدهم منذ دخولهم سوريا. وفي نهاية الخطبة واصل هجائه لهم عارضا شروطه ليسمح لهم بتسليم أنفسهم ويؤمنهم علي حياتهم فقال: "أيها التعساء علام ترتكنون؟ ألم يمت رفاقكم واحترق (حرفيا ذهب) معبدكم، ومدينتكم تحت رحمتي. أليست أرواحكم في يدي؟ وأنتم تريدون أن تموتوا في النهاية بشرف وتحاربوا حتى النزع الأخير؟ ألقوا أسلحتكم، وسلموا أنفسكم، وسوف أهبكم أرواحكم، كسيد رحيم يعاقب بعض خدمه. رد المحاصرون علي ذلك بأنهم لا يستطيعوا أن يقبلوا العفو منه ويسلموا أنفسهم فقد أقسموا أن لا يفعلوا ذلك، لكنهم يرجونه أن يسمح لهما بالعبور عبر خطوط الجيش الروماني لكي يخرجوا من المدينة ومعهم زوجاتهم وأبنائهم علي أن يعبروا الصحراء ويتركوا له المدينة. . لكن "تيتوس" رد عليهم بأنه لن يسمح لهم بالذهاب ولن يعفو عنهم، وأن عليهم أن يقاتلوه لكي ينقذوا أرواحهم، ثم أمر بهدم المدينة"[190].

استطاع "يوحنا" و "شمعون" أن يخرجا من الحصار ويتجها إلي القصر الملكي ثم ذبحا من به من اللاجئين بلغ عددهم 8.400 شخص واستولوا علي ما به من الكنوز وفروا عبر المناجم القريبة من المدينة. انطلق الرومان في يوم 8 سبتمبر 70 م. من جهتين حيث أحرقوا أسفل المدينة، من جهة وأتوا علي أعلاها 25 سبتمبر 70م ولم ينقطع مع ذلك رحيل عدد كبير من اليهود ليلجئوا إلي الرومان. في نفس الوقت تم تسليم كنوز المعبد من الرومان إلي سدنة الهيكل. اكتمل بذلك نصر الرومان وسيطروا علي كل بلاد يهوذا عدا "قلعة الماسادا"، دخل بعد ذلك "تيتوس" إلي المدينة التي كانت قد احترقت بالكامل. أمر "تيتوس" بعد ذلك بأن يتم ذبح الأسري الذين كانوا يقاتلون الرومان فقط. ويقدر "يوسف" عدد القتلى خلال سقوط المدينة بـ 97.000 قتيل، أما إجمالي عدد من تم قتله طوال الحرب بـ "1.100.000" قتيل أكثرهم من اليهود[191].

سويت بعد ذلك "أورشليم" بالأرض، وأقام "تيتوس" احتفالا بنصره كرم خلاله ضباطه وقواده ثم أذن لهم بالرحيل عن سورية كلها ورحل هو نفسه إلي "إنطاكية". كما تم فرض ضريبة "النصف شيكل" علي اليهود في كل أرجاء الإمبراطورية الرومانية ليدفعوها من أجل بناء معبد الرب "جوبيتر الكابيتوليني، وذلك كنوع من الإذلال لهم. عبر "شمعون" عبر ممر سري لا يعرفه غير

قاطعي الأحجار بعيدا عن حصار الرومان له. لكنه لم يستطع الهروب عبر المنجم وعاد ليظهر في نفس الموضع القديم للهيكل بملابس غريبة ليستغل النبوءة القديمة بأنه هو الملك الذي سوف يخلص العالم، لكنه ما لبث أن وقع في يد القائد "ترنتيوس روفوس"، فسجنه وأخطر "تيتوس" بما حدث[192]. عاد "تيتوس" بعد ذلك إلي روما حيث استقبله "فسباسيان" استقبالا يفوق التصور، وربما يعكس هذا الترحيب رغبة الإمبراطور في الظهور بمظهر القائد القوي المنتصر والمحارب الشجاع أمام أفراد جيشه وذلك علي اعتبار أن الحرب اليهودية كانت علي وجه التقريب هي الصراع الخارجي الوحيد الذي خاضه بنفسه، وذلك بغض النظر عن الحروب الأهلية الرومانية (الكريهة). وحفظ ذكري انتصار "تيتوس" الساحق علي اليهود نقش تم حفره علي قوس النصر في روما في عام 80/ 81 م. ويسبق نقش "تيتوس" عملة ذات حجم كبير من فئة واحد "سيستريوس" سكها والده "فسباسيان" ومؤرخة بعام 71م. لتخلد ذكري انتصاره علي اليهود[193].

في حوالي أبريل / مايو عام 73 م. كان "فلافيوس سيلفا" يحاصر حصن "الماسادا" وكان اليهود "السيكاري" قد تحصنوا داخله بزعامة "إليعازر بن شمعون" منذ فترة تزيد علي العامين. حاصر "سيلفا" الحصن واستطاع أن يسقط الحائط الأول ثم الثاني وكان من الخشب. لما أحس "إليعازر" بقرب دنو سقوط الحصن خطب في زملاءه المحاصرين وطلب منهم أن يقوموا بقتل أنفسهم وزوجاتهم وأبنائهم. لكن خطبته هذه لم تلق قبولا منهم. فخطب فيهم خطبة ثانية أطول من سابقتها حضهم فيها علي قتل أنفسهم من جديد وكان أبرز ما جاء فيها: "منذ وقت طويل يبدو أن الرب قد أصدر حكمه بالموت علي كل الجنس اليهودي كله ويجب أن نتخلص بأنفسنا من هذه الحياة ما لم نستطع أن نستعملها بشكل صحيح. لا تلقوا باللوم علي أنفسكم، ولا تنسبوا الفضل للرومان، لأن حربنا معهم قد أدت إلي هزيمتنا جميعا، ذلك أن إرادتهم لم تكن هي التي فعلت فينا كل ما حدث، لكن يوجد تدخل من قوي أخري منحتهم القوة التي جعلتهم يحرزون هذا النصر". كان للخطبة الثانية علي ما يبدو مفعول السحر فقد صدع المحاصرون بالأمر وعندما استطاع الرومان أن يقتحموا حصن الماسادا، كان المحاصرون قد ألقوا بالفعل زوجاتهم وأطفالهم من فوق الصخرة فسقطوا موتي في الحال ثم انتحروا جميعا ولم يبق في الحصن سوي سبعة رجال أحياء فقط. وبذلك دانت أرض يهوذا كلها للرومان في حوالي مايو 73 م.[194]. ولم يتبق من آثار للمقاومة سوي جماعات السيكاري التي هربت إلي مصر، و"قورينة"[195]، حيث أثارت بعض المشاكل البسيطة وعكرت صفو الأمن قبل أن يتم القضاء عليها هي الأخرى[196]. وهكذا لم ينتصف عام 74 م. حتى انتهت الثورة اليهودية أو كادت أن تنتهي، وعاد اليهود للسكون فترة تناهز النصف قرن.

عمد الرومان بعد قمع الثورة إلي تدمير الهيكل، ولم يكن أمام البقية الباقية من اليهود سوي أن يتفرغوا للعبادة ويستغنوا عن الهيكل المقدس بعد تدميره. وهنا يأتي دور الديانة المسيحية ومدرسة

الحاخام "يوحنا بن زكاي" في الحفاظ علي العقيدة اليهودية من الضياع، حيث خرج "يوحنا"، من "أورشليم" قبل حصار "فسباسيان" لها إلي "جامينا، Jamina"، وهي تبعد مسافة 30 ميل عن أورشليم حيث واصل العبادة هناك، وبذلك ضمن البقاء للديانة اليهودية[197]. ويري "إيوسيبيوس" أن المسيحيين قد خرجوا من القدس في نحو ذلك التاريخ وكان هذا الخروج أحد أهم أسباب بقاء الديانة المسيحية، حيث هربوا إلي "ديكابوليس"[198]. لكن لم يكن كل اليهود قد قرروا أن يجنحوا نحو المسالمة فهناك نص من التلمود البابلي يمتلئ بالكراهية والحقد علي الرومان وهذا النص ظل حبيسا في صدور اليهود ولم يخرج سوي في أحداث الثورة اليهودية الثالثة رغم أن تأليفه يعد نتاجا لأحداث الثورتين الأولي والثانية، لكن صاحبه أعتصم بكهف خوفا من الرومان لسنوات طويلة[199].

تعقيب: في الحقيقة أن من يتأمل الحرب اليهودية الأولي ضد الرومان سوف يتملكه الجزع من مدي رسوخ الكراهية الذاتية والانقسام العميق بين فئات الشعب اليهودي، ويظهر دور الدافع الديني واضحا في هذه العداوة، إلي جانب العامل الاقتصادي. بيد أنه من الثابت وجود العديد من الاختلافات الدينية والاقتصادية بين طبقات شعوب كثيرة عبر التاريخ، لكن هذه الشعوب لا تمتلك تاريخا في التطاحن الداخلي بهذا العمق الكبير والمستمر حتى التاريخ المُعاصر بلا انقطاع. ومن المدهش مراقبة شيوع فكرة خيانة الأمة اليهودية فها هو "يوسف" يطرح الفكرة بصورة نمطية فهو مثل غيره من أبناء الطبقة الغنية يري أن الحكم الروماني خير للبلاد من حكم فئة المتشددين، فيؤكد لهم "أن الرب في صف الرومان" ثم يتزيد علي نفسه عندما يقول: "أن الرب قد هرب إلي الرومان". وتنطق قصة حياة "يوسف" بأنه منذ البداية أضمر أن يفرق كلمة أبناء وطنه لكي لا يحاربوا الرومان وأخذ يراوغهم كلما أرادوا الخروج لقتال الرومان ممنيا نفسه بحضور "كستيوس" القائد الروماني فيقول "لن يمر وقت طويل قبل أن يحضر "كستيوس" بجيش كبير ليقمع الثورة".

هناك أيضا تلك اللهجة المتسامحة عند تناول ما أرتكبه الرومان من فظائع بقتل مئات الآلاف من أبناء الشعب اليهودي قدرهم يوسف نفسه بـ 1.100.000 نفس، فعندما يكون القتل بيد الرومان يكون مبررا عند يوسف ويتناوله كأمر لا فكاك منه وكرحمة من القدر أما القتل بيد عصابة الخنجر "السيكاري" أو المتشددين" أو "الأدوميين" فهو مذابح بشعة تستحق التجريم. وكان ذلك وراء إصدار العديد من المؤرخين علي "يوسف" و "أجريبا" وغيرهما حكما صريحا بأنهم "خونة" للشعب اليهودي، وهو الحكم الذي تؤيده سيرة حياة "يوسف" نفسه كما تم العرض لها في سياق هذا البحث. والحقيقة أن مواقف "يوسف" في خيانة قضية اليهود يخطئها الحصر وربما يستشعرها هو نفسه في أعين معاصريه وما يبلغه عنهم من أقوال وأفعال. وهو ما يبينه تركيزه الشديد في القسم الأعظم من سيرته الذاتية للرد علي منتقديه بسبب دوره في الحرب اليهودية وتسهيل سقوط الجليل في يد الرومان[201]. ويلخص "يوسف" بنفسه في الدور الذي قام به لخدمة الرومان من خلال أعماله حيث

كان يعمل كمترجم ومرشد يقود الرومان عبر طرق أرض يهوذا، ووسيط ما بين الرومان واليهود ليقنعهم بالتسليم، وهو الدور الذي أصابه هو و "أجريبا"، بجراح عديدة وخاطرا خلاله بحياتهما[202].

والواقع أن ثمن الخيانة لا يعادل أبدا بريقها في عين الخائن فهو يظل في كل الظروف وعلي مدار العصور هدفا لسهام النقد مرتين مرة من جهة قومه الذين خانهم، وأخري من جهة من باع نفسه لهم ويجسد ذلك قول "يوسف" "تم إرسالي مع "تيتوس" لحصار "أورشليم، حيث تعرضت حياتي لخطر الموت مرارا وتكرارا، سواء علي أيدي اليهود الذين كانوا يتحرقون شوقا للإيقاع بي في قبضتهم بغرض الانتقام مني، أو من جانب الرومان الذين اعتقدوا أن الهزائم العديدة التي حلت بهم وأن معاناتهم منها إنما هي بسبب خيانتي، والذين طالبوا الإمبراطور بإلحاح شديد وهتافات مستمرة بإنزال العقاب بي بزعم أنني قمت بخيانتهم". وفي الحقيقة فإن الاتهامات لـ "يوسف بالعمالة والخيانة من جهة اليهود والرومان ظلت تلاحقه لآخر حياته فقد ادعي "يوناثان" اليهودي قائد ثورة قورينة أن "يوسف" هو الذي حرضه وموله بالسلاح والأموال، ولم يكن هناك ما يبرئه من هذه التهمة غير ثقة الإمبراطور في ولائه. وظلت الاتهامات بخيانة للإمبراطور تطارده إبان عهد "دوميتيانوس" والتي أتته مرتين مرة علي يد اليهود والثانية علي يد أحد العبيد من الخصيان الذي كان مرافقا لأبن "يوسف" نفسه[203]. ويتبقى القول أن الأنانية تتجسد في شخصية "يوسف" في عدم اكتراثه لمصير والديه بعد إهماله لمصير أمته.

أما الملك "أجريبا الثاني" فلم يكن يختلف عن غيره من الأغنياء وإن كان حافزه للخيانة أقوي، ولذلك بذل مجهودا كبيرا في إخماد الثورة اليهودية، فخرج بجيوشه كلها إلي أنطاكية ليستقبل "فسباسيان" عند وصوله إلي سوريا. ووقف خطيبا في أهل "جمالا" ليقنعهم بالاستسلام للرومان وكادت روحه تُزهق عندما شج أحدهم رأسه بحجر وهو من قبل ذلك يقيم الألعاب الرياضية والمسابقات الفنية لكي يسري عن "فسباسيان" ما لحقه من هم جراء مقاتلة المدن اليهودية وقتل أهلها. واتسم "أجريبا بالروح العملية في تصرفاته فلم يكن كل عدائه موجه لليهود؛ بل إلي من يهدد عرشه، فالرجل في موقف سابق يوفد "يوسف" قبل عامين من الثورة بالاشتراك مع الكاهن الأعظم "أنانياس" لعزل "البروكراتور الروماني" علي "يهوذا" بسبب كثرة شكاوى اليهود منه وشعور "أجريبا" بعدم قدرته علي القبض علي زمام الأمور ما دام هذا الرجل موجودا في منصبه.

وفي هذا السياق يأتي دور يهودي آخر في تسلق ذري المناصب السياسية في العالم بغض النظر عن الطريق الذي سلكه حتى يصل إلي هذه المكانة، وهذا هو ما فعله "يوليوس تيبريوس الإسكندر" عندما واصل صعوده في المناصب العليا حتى وصل إلي أعلي المناصب في الإمبراطورية الرومانية، وهو منصب قائد الحرس البرايتورى وهو أعظم نجاح لأي شخص روماني أو غير روماني من خارج الأسرة

الحاكمة، خاصة وإن كان من أصل أجنبي[204]. ويتضح دوره المحوري في تولية "فسباسيان" من خلال رواية "يوسف": "تيبريوس الإسكندر" الذي كان حتى فترة قريبة واليا علي مصر من قبل الرومان، والآن صار قائدا عاما للجيوش الرومانية كمكافأة له لكونه أول من رحب بزعيم البيت الإمبراطوري الجديد بإيمان رائع". وإن كان هذا الدور مفهوما فأنه يتعذر علي المرء أن يضع سببا مغايرا عدا التعطش القمئ للسلطة لكي يكون دافعا لمشاركته بنفسه في تدمير "أورشليم": "في اليوم التالي "تيتوس أمر جزء من الجيش أن يشعل النار وأن يصنع طريقا قرب البوابات لكي يكون أسهل في الاقتحام لدخول الفرق. وعندئذ فقد جمع مجلس حربه المكون من ستة جنرالات، رئيسهم هو "تيبريوس الإسكندر قائد الجيوش. . . "[205]. والمتصفح لأعمال "جوفينال يعلم بصورة مؤكدة مشاعر بعض الرومان تجاه اليهود بصرف النظر عن (ترومنهم) وها هو تمثال "تيبريوس الإسكندر" المنتصب في الفوروم الروماني يحظى بتعليق لاذع من "جوفينال" تجاه التمثال وصاحبه فيقول: "ثم بلغنا تماثيل النصر التي تجرأ أحد المصريين من حكام الصحراء الشرقية، لا أدري له أسما فوضع بينها ألقابه، وحلال بالقرب من تمثاله ألا يقتصر الناس علي التبول"[206].

لم تكن حالات الخيانة الفردية السابق ذكرها سوي تعبيرا عن استعداد طبقات معينة من المجتمع اليهودي للتحالف مع أي قوة خارجية أو داخلية في سبيل الحفاظ علي مصالحها بغض النظر عن مصلحة جموع الشعب اليهودي. ويشهد علي ذلك الاعتذار الجماعي الذي قدمه أعيان "طبرية" لـ "فسباسيان" عن مسلك "يوشع بن شافاط" ضد إحدى كتائب الرومان ومبادرتهم بهدم أسوار مدينتهم وذلك لتأكيد حسن نواياهم تجاه الرومان. وكانت هذه الطبقة من الأغنياء الذين احتكروا في عين الوقت المناصب الكهنوتية تتمسك بمواقعها الدينية التي تمكنها من تفسير التوراة حسب رؤيتها، وتجلي تمسكها بمناصب الحكم في أنه عندما قرر اليهود انتخاب حكومة جديدة لتدير البلاد زمن الحرب فقد جعلوا التصويت في هذه الانتخابات علنيا وحرصوا علي حضور التصويت لكي يضغطوا علي اليهود فلا يستطيعوا مجاهرتهم برفض التصويت لهم وكان التصويت ضد هؤلاء الكهنة من شأنه طبقا للعقيدة اليهودية أن يحرم الإنسان من رحمة "يهوه" نفسه فلم يكن من الممكن طبقا لشريعة اليهود لأي إنسان أن يتصل بالرب مباشرة حيث جميع الطقوس والصلوات تؤدي عبر الكهنة.

ويتضح تمسك الكهنة من أبناء الطبقة الغنية بالمناصب ويقينهم أنه ليس من الواجب محاربة الرومان سوي بشكل ظاهري لكي لا يؤلبوا عليهم جموع اليهود البسطاء، هو أنهم قد تخطوا عند تحديد القادة الستة الذين سوف يقودون الشعب اليهودي ضد الرومان قد تخطوا أثنين من أكفأ القادة الذين أثبتوا كفاءة عسكرية أثناء أحداث الثورة وهما: "إليعازر بن أنانياس" و "إليعازر بن شمعون"، وذلك رغم اخلاصهما لقضية استقلال اليهود حتى أن أولهما وقف ضد أبيه وساهم في عزله من منصبه ثم قتله[207]. ومن هنا جاءت فرصة شخص مثل "يوسف" لكي يصير واحد من ستة رجال يقودون

الشعب اليهودي فقد كان خيارا مثاليا للكهنة الذين أضمروا خيانة الشعب اليهودي، فهو صغير السن بلا أدني خبرة عسكرية. والجدير بالذكر أن كل القادة المختارين لم يكن لهم أي دور في التصدي للرومان أثناء الحرب. وكانت النماذج السيئة التي قدمها كبار رجال الدولة المعتدلين من اليهود حافزا لغيرهم من الأفراد لكي يقلدونهم وها هو أحد المحاصرين في "يوتاباتا" يقلد كبار رجال الدولة فيفر من المدينة مع اشتداد الحصار ويطلب لقاء "فسباسيان"، حيث يخطره بسوء حال المدينة والنقص في الطعام والماء ويحدد له الوقت والمكان المناسب لاقتحام المدينة كما سلف الذكر. وكان لذكاء فسباسيان في رصد هذه الكراهية دوره في رسم خططه العسكرية فأبطأ السير في حملته ليمنح اليهود الفرصة لتصفية بعضهم بعضا بدلا من أن يقوم هو وجيوشه بهذه المهمة.

ولا يوجد ما هو أدل علي تعمق الانقسام وكونه حالة جماعية وليست فردية بأكثر مما رواه "يوسف" عن القتال بين أهل مدن الجليل التي استسلمت للرومان وسبق العرض له ولا بأس من إعادة تقديمه مختصرا: "كانت المدن التي استسلمت لهم قد دخلت في حرب أهلية عنيفة، وتقاتل أهلها من المعتدلين مع فرقائهم من المتشددين، وكلما غفل الرومان عن أهل هذه المدن انتهزوا الفرصة للدخول في قتال ضاري فيما بينهم. كان القتال قد بدأ بين أفراد الأسرة الواحدة والتي كان يفرق بين أعضائها ما بينهم من كراهية مريرة. . . . ويمتد القتال بعدها إلي من كان يري البعض فيهم أنهم يعتنقون فكر أعدائهم. . . . وبدأوا تكوين عصابات للفتك بجيرانهم وتحطيم ممتلكاتهم . . . ولم يكن ما عاناه الرومان منهم بأسوأ مما عاناه أهل البلاد من اليهود من أذي هذه العصابات، وفي الواقع فأن العديد من أهالي البلاد كان يفضل أن يقع في يد الرومان بدلا من أن يقع في أيديهم"[208].

وتعبر حادثة احتجاز "يوحنا" ورجاله في الهيكل المقدس أصدق تعبير عن الفهم المتزمت للدين اليهودي من ناحية وفي عين الوقت الاستهانة بأعظم المقدسات من قبل أفراد الشعب اليهودي. ذلك أنه بعد احتجازه في المعبد بمعرف الكاهن "أنانوس" وأهل "أورشليم لم يشأ الكاهن السماح لقواته باقتحام المعبد لطردهم دون أن يكونوا قد أدوا طقوس التطهر، فاختار بالقرعة من بين الرجال الذين يقودهم ستة آلاف رجل ليحرسوا "مدخل"، الهيكل لمنع خروج المتشددين منه. وكان من الطريف أن أولئك الأغنياء ممن أصابتهم القرعة ليكونوا من بين المدافعين عن الهيكل المقدس تنازلوا عن هذا الشرف وأكتري كل واحد منهم أحد اليهود الفقراء لكي يحل محله[209]. والسؤال لو أتيح شرف الدفاع عن المقدسات لأي إنسان من أبناء الديانات السماوية أو العبادات الوضعية، بالصورة التي حدثت في مثل هذا الموقف فكم واحد منهم يا تري سوف يتخلى عن مثل هذا الشرف طواعية أو قسرا، وليس من المطروح هنا علي الإطلاق فكرة أن يدفع أحدهم فلسا من ماله ليكتري من ينوب عنه في ذلك.

والواقع أن اليهود المسمون بالمعتدلين أو من تحالف مع الرومان ضد مصالح بقية اليهود ليس هم من أساء للشعب اليهودي وتسببوا في موت مئات الآلاف منه بلا جريرة وحسب، بل هناك النوع الآخر وهو الأسوأ وهو أولئك اليهود الذين رفعوا لواء التشدد وغالوا علي تعاليم التوراة حتى خرجوا بالديانة والشعب اليهودي عن طور الاعتدال فساقوهم في طريق لا يقل سوءا عن طريق الخيانة الذي سلكه فرقائهم من المعتدلين. وقد تعاظم شأن العصابات التي كونها هؤلاء بسبب حالة الفوضى والفراغ أمني، الذي حدث بعد هزيمة "كستيوس جاللوس"، وجلاء الرومان عن "أرض يهوذا" لبعض الوقت. فانتهز زعماء "الديماجوج" والفقراء الفرصة لتصفية الحسابات مع الأغنياء وهو ما كان واضحا من خلال تعدد هجمات المتشددين من الفقراء أو من زعم زعمهم، ضد منازل وأملاك وشخوص الأغنياء.

ويساهم في إعطاء صورة سيئة عن هؤلاء عداء "يوسف" الجلي لهم، ومواقفه حسب رواياته لا لبس فيها وأول ما يعبر عن هذه المواقف قصة حياة "يوحنا بن لاوي" الذي كون ثروة بعد أن كان معدما من خلال استغلال ظروف الحرب، سواء في بناء أسوار الجليل أو بيع الزيت بثمانية أمثال ثمنه. أو مواقفه الأخرى في إثارة العداء ما بين المتشددين والمعتدلين في "أورشليم" أو استقدام الأدوميون الذين كانوا هم أنفسهم من أبرز "المغفلين" الذين تم خداعهم فأساءوا صنعا؛ وقد ظنوا بأنفسهم الخير ولم يجدوا لأنفسهم من عذر بعد أن تكشفت أمامهم حقيقة استغلال المتشددين لهم سوي أنهم كانوا هم أنفسهم ضحية لامتهان المعتدلين لهم عندما لم يسمحوا لهم بالدخول إلي المدينة. ولم يسأل واحد منهم نفسه عن الجريرة التي أرتكبها الآلاف من اليهود البسطاء الذين قتلوا علي أيديهم أو يد "شمعون بن جيوراس" داخل هيكل سليمان المقدس وهم يصلون. وسياق الحوادث لا يترك فارق كبير في أخلاق المتشددين والمعتدلين خاصة مع تكرار حوادث السرقة والقتل والاغتصاب لنساء اليهود من الأغنياء والفقراء وأشهرها حادث اختطاف زوج "شمعون" وهي مثال علي تدني الأخلاقيات لدي جميع أطراف الصراع. ولعل حوادث قتل الأغنياء والوحشية التي عاملهم المتشددون بها توضح مشاعر الطرفين وأسوا هذه الحوادث هي حادثة مقتل "نيجر" الذي لم يشأ المتشددون حتى أن يمنحوهم "ميتة" تريحه من العذاب المُهين.

بيد أن ما يضعف مصداقية رؤية "يوسف" –المنحازة– ضد المتشددين ومبادئهم صراع مع الأسف الشديد، هو أن قسما كبيرا منهم قد هلك في الصراع سواء أثناء القتال ضد حزب الموالين للرومان أو الأدوميين أو ضد الرومان أنفسهم، وهو ما يعكس تمسكا حديديا منهم بمبادئهم، هذا مع إقرارنا بعدم عدالة هذه المبادئ. وما يؤكد علي إيمانهم بما كانوا يفعلون هو أنهم رفضوا عرضا كريما –علي حد زعم "يوسف" ـ من عدو رحيم هو الأمير "تيتوس" بأن يلقوا أسلحتهم ويعيشون مسالمين تحت رحمته، ويأمنوا علي أنفسهم وأهليهم و "هيكلهم"، وأبوا قائلين: "أن مبادئهم تمنعهم من ذلك".

ويمكن افتراض حقيقة تبرز غير واضحة في وسط التعتيم الذي فرضه "يوسف" والرومان من بعده علي صورة هؤلاء المتشددين، وهو أن هؤلاء المتشددون قد عانوا من موجة الخيانة الجماعية من أفراد الشعب اليهودي سواء الأغنياء من الموالين للرومان أو البسطاء الذين ساهموا بصمتهم الذليل وعدم وقوفهم مع أحد الأطراف في إضعاف هؤلاء المتشددون وتسليمهم للرومان. وهو ما أنعكس بالسلب عليهم فصاروا يشعرون أنهم في بيئة معادية تكاد تلفظهم، فملأ الشك نفوسهم نحو أبناء شعبهم الأغنياء منهم أو الفقراء، فكان السيف هو أقرب رفيق لهم. ويؤيد هذا الزعم أن المتشددين قد تجمعوا من كل المدن التي استسلم أهلها للرومان طواعية أو قسرا، فلم يجدوا لهم من موئل في النهاية سوي "أورشليم" فغلبوا أهلها علي أمرهم ولما لم يكن لهم من ملجأ بعدها فقد علموا أنهم لا محالة مأخوذين ففضلوا الموت علي العذاب وشماتة أبناء جنسهم. وهو ما يفسر حوادث الانتحار الجماعي التي ظهرت في أوضح صورها في حادث الانتحار الجماعي في قلعة الماسادا.

ومن الغريب أن هناك من الكتاب اليهود المعاصرين من لا يري غضاضة فيما حدث خلال الثورة اليهودية وهاهو "سيلتزر" يعبر عن رأيه في أحداث الثورة اليهودية فيقول: "لقد نظر اليهود إلي أنفسهم علي أنهم أمة واحدة ولم يكن ذلك بالمعني المعاصر للكلمة، ولكنهم كانوا أمة واحدة لأنهم يعبدون نفس الإله خالق الكون والملوك جميعا، وهو الذي يرشد البطريرك الذي يقود إسرائيل. ويتعهد الرب بحماية شعبه إذا ما أطاعوا القوانين التي وضعها لهم وإذا ما تمسكوا باسمه مقدسا في الأرض. وخلال أحداث الثورة اليهودية الكبرى، كان من الممكن أن يكون اليهود المؤيدين للحرب واليهود المناوئين لها يهود أتقياء أعضاء في الأمة اليهودية، ما داموا يحافظون علي المعايير السابقة"[210]. وما سبق القول به إنما يشكل قدرا عظيما من التناقض ما بين التعاليم الدينية وبين تمسك الإنسان بتطبيقها في حياته أو علي أخوته في نفس الديانة؛ خاصة وأن إطاعة هذه التعاليم علي هذه الصورة المتناقضة، قد أدي إلي ما سبق عرضه من ملامح كراهية الذات خاصة ما يتعلق بالانتحار الجماعي وتسليم المجاهدين من أبناء الشعب للأعداء.

ولا أدل علي اتصال الفرقة ما بين فئات الشعب اليهودي من وجود طائفة معاصرة من طوائف اليهود تقدم نموذجا لكراهية إحدى الفرق المتشددة لقسم آخر من الشعب اليهودي – هذا مع العلم أن هناك جانبا كبيرا من المتشددين المعاصرين صاروا يرفضون فكرة وحدة الأمة اليهودية. وعلي سبيل المثال تري الطائفة "الحاريدية" أو "حراس المدينة" أن دولة إسرائيل دولة كافرة وقد حاول أعضاء هذه الطائفة الاستسلام للأردن في حرب 1948م. ولم ينجحوا. وقد استطاعوا أن يبلغوا رسالتهم للعالم عبر مندوب فلسطين في الأمم المتحدة عام 1990م. وكان مما قالوه "إن الرب يريد أن يطرد الصهاينة من الأرض المحتلة ليخفف من غضبه علي الأمة اليهودية ولكن الأمريكيون يتشبثون بالإبقاء عليها في تلك الأرض. ولذلك فأن الرب اختار صدام حسين للانتقام منهم وهذا في صالح الأمة اليهودية

والعالم أجمع. وهو الرأي الذي يسانده الحاخام "تيتلبيوم" صاحب مؤلف "ضد الصهاينة". وترفض جماعة "موشيه حاريتس" دفع الضرائب لدولة إسرائيل الكافرة، ويقول أن الجيش (الإسرائيلي) لا يجندنا، وإذا أعطونا السلاح فسوف نطلق النار عليهم. ويردف: لماذا يفكرون فينا وهم لا يجندون العرب ونحن أكثر كراهية لهم من العرب. كما توزع جماعته معونات بآلاف الدولارات علي جرحي وشهداء الانتفاضة الفلسطينية[211].

ويتصاعد تيار الانشقاق الأصولي اليهودي من خلال رفض الزواج ما بين عناصر الأصوليين وبين غير الأصوليين وهو ما دفع الحاخام "رابي" الزعيم الأمريكي اليهودي الأصولي إلي التنبؤ أنه خلال 25 عام علي الأكثر ومن خلال الزواج المبني علي الانتقاء المذهبي سوف يكون لدينا شعبين من اليهود أحدهما أصولي والثاني غير ذلك، وكلا منهما يكرهان بعضهما لأقصي حد. هذا فضلا عن كراهية اليهود الأصوليين لليهود المتحولين من ديانات أخري، وهو الأمر الذي يولد انقساما آخر عنيف حول تعريف من هو اليهودي ومن هو غير اليهودي ويتصاعد الرفض خاصة بعدم الموافقة علي اختيار رجال دين من هؤلاء المتحولين[212].

ومن الواضح أن هذا الانقسام العنيف داخل اليهود قد جعل منهم فرقا وأحزابا متعددة، وكان هذا الانقسام المعاصر يماثل الانقسام القديم في الأسباب ويزيد عليه في عميق الخلاف، وهو الذي أدي إلي ظهور حركات انشقاق علي العقيدة والفكر اليهودي أخذت منحي آخر بعيدا عن اليهودية. ولعل أكثر هذه الحركات تشددا أولئك الذين رأوا: "أن تخلي الرب "يهوه" عن اليهود وتركه لهم ليتعرضون للمذابح والإبادة جعله يفقد مصداقيته عندهم وهو ما أدي إلي ظهور ما يعرف بـ "لاهوت موت الإله" وهي عبارة ظاهرة التناقض تقوم علي التفكير في الإله علي أنه مات بالفعل وحلت محله مجموعة من القيم الدنيوية المادية، وهذا الفكر يتبناه العديد من المفكرين اليهود المعاصرين مثل: إيرفنج جرينبرج" و "ريتشارد روبنشتاين" و "إميل فاكينهايم"[213].

وهذه الحالة العامة من كراهية الذات وكراهية الآخر معا لدي العديد من الحركات اليهودية تسترعي بعض التفكير، ذلك أنه أتضح من خلال العرض السابق رسوخ فكرة كراهية الذات اليهودية عبر العصور، وأدت هذه الكراهية العامة إلي وجود تراث كامل من اللغات السرية والنكات والأدب ونحو ذلك، مما هو معروف بين اليهود لتلافي عداء الآخر الذي هو من اليهود وليس من الأغيار. وتتضح العلاقة ما بين اليهودية والصهيونية في تماثلها مع جدلية "العبد والسيد" التي يطرحها "هيجل" في "فيمونولوجيا الروح"، وذلك عندما بين كيف لا يصبح "السيد" سيدا إلا بفضل وجود "العبد". وكيف ينتهي المطاف في هذه الجدلية بأن يصبح "السيد" بصورة ما عبدا للعبد، فهو عبد لرغبته في السيادة علي العبد. والأمر هنا بالمثل، فالهوية "الإسرائيليةـالصهيونية"، هي النفي الجدلي للهوية اليهودية في شتاتها بين الأغيار[214].

وتعكس كراهية الذات اليهودية والرغبة في تدميرها وتدمير الآخرين، ما يقدمه "كارل يونج" أحد مؤسسي علم النفس الحديث، حيث تجسد نظريته عن اللا شعور الجمعي، وهو محصلة المخلفات التي تتراكم لدي الشعوب نتيجة الخبرات المتكررة عبر أجيال كثيرة. . وهو أمر شائع ومشترك بين البشر جميعا. . واللا شعور الجمعي هو الأساس العنصري الموروث للبناء الكلي للشخصية. ويمكن القول أن اليهود بفرقهم المعتدلة والمتشددة قد عانوا من تعمقهم في غيرهم حتى ذاب بعضهم في الآخر حبا وذاب البعض الآخر كراهية، وهذا ينطبق علي حزبي أعداء وأصدقاء الرومان. وهذه المشاعر هي تلك التي تُعرف عند "سيجموند فرويد" بـ "التعين بالمعتدي"، حيث تزداد الكراهية حتى يصبح الشخص متوحدا مع عدوه، أو بمعني آخر أن فكرتي في تدمير الآخرين تنعكس فتصير رغبة في تدمير ذاتي[215].

وربما يمكن توضيح وجهة النظر السابقة من خلال رؤية "فرويد" نفسه من خلال نظريته في تكوين الشخصية الإنسانية؛ فهو يحصي الغرائز الإنسانية وأنواعها، وفي النهاية يعرض لغرائز أقل وضوحا وهي غرائز الموت. ويري "فرويد" أنها أقل وضوحا مقارنة بغرائز الحياة ولهذا السبب لا يُعرف عنها غير القليل، عدا أنها تنجح في النهاية في القيام بدورها، ذلك أن كل شخص يموت في النهاية. وقد دفعت هذه الحقيقة "فرويد" إلي صياغة مقولته الشهيرة "إن هدف الحياة هو الموت". وقد افترض "فرويد"، أن لدي كل شخص عادة رغبة لا شعورية في أن يموت. ولم يحاول "فرويد" أن يعين المصادر الجسمية للموت (كما فعل عند تحديد غرائز الحياة)، وإن كان من الممكن أن يتكهن المرء بوجودها في عمليات الهدم أو التفتيت التي تقوم بها خلايا الجسم، كذلك لم يطلق أسما علي الطاقة التي تستخدمها غرائز الموت في القيام بعملها. ومن المشتقات الهامة عنده لغرائز الموت "الباعث العدواني" فالعدوانية هي تدمير الذات وقد اتجهت إلي الخارج نحو "أهداف" بديلة. فالشخص يقاتل الآخرين وينزع إلي التدمير لأن رغبته في الموت قد عاقتها قوة غرائز الحياة بالإضافة إلي عقبات أخري في شخصية الإنسان الطبيعي تتصدى لغرائز الموت، وقد رأي "فرويد" أن للعدوان قوة لا تقل عن الدافع الجنسي[216].

ومن الطريف أن يقدم "سيجموند فرويد" وهو يهودي، تحليلا نفسيا للشخصية اليهودية، ليؤيد به وجهة النظر الماثلة في هذا البحث ويتهم التاريخ اليهودي بأنه غارق في الأباطيل والكذب. وقد استند إلي "جيمس فريزر"، عندما نشر مقالته بعنوان "موسى ومايكل أنجلو" التي نشرها دون توقيع. ثم نشر بعدها الجزأين الأول والثاني من كتابه "موسى والتوحيد" حيث قدّم فيه تحليلات عميقة للشخصية اليهودية. وقد أنكر أن يكون موسي "يهوديا" بل أكد علي أنه "مصري" مستشهدا بنفس سياق قصة موسي الموجودة في التوراة، كما يتهم اليهود بقتل "موسي" لعدم قدرتهم علي الارتقاء إلى مستوى الروحانية التي تتضمنها ديانته. ولا يشكك "فرويد" فقط في التراث اليهودي بل هو يشكك

أيضاً في التوراة نفسها. وكان "فرويد" يسلك بذلك طريقا مختلفا عما سلكه "مانيتون" السمنودي و"أبيون السكندري"، ليثبت نفس الفكرة التي تنسب إليهما، وهي أن النبي "موسي" ليس سوى كاهن مصري قديم وهو ليس من اليهود بأية حال[217]. ويقوم دليلا علي انصراف اليهود عن الديانة اليهودية تحولهم نحو "التلمود" بدلا من التوراة حيث يتضمن التلمود أفكار تقترب من طبيعة الفئات الصهيونية وغيرها حيث يرد في التلمود: "يُكرم الفقير لمهارته والغني لثروته... الذهب والفضة يمكنان القدم من الثبات... الثروة والقوة يفرحان القلب... الموت أفضل من التسول... سبع صفات تلائم الأخيار ومنها الثروة.. حين يقوم الإنسان بالصلاة عليه أن يتوجه في صلاته لصاحب الثروة والممتلكات لأنهما لا يتأتيا من العمل وإنما من الفضيلة... أن الخيرين يحبون أموالهم أكثر من أجسادهم... في وقت الشدة يتعلم الإنسان قيمة الثروة"[218].

وختاما يمكن القول، أن تحريف التوراة وانصراف اليهود عنها إلي التلمود الذي قام علي وضعه حاخاماتهم بمعرفتهم الخاصة، كان من شأنه تكوين طبقة الكهنة المنغلقة علي نفسها وهم جماعة من الأثرياء الذين يقدسون الفكر المادي وقد تسلطوا علي الشعب اليهودي حيث أعلنوا بصراحة أن التلمود يعلوا علي التوراة وذلك عندما زعموا أن الرب قد تجادل معهم "أي الحاخامات" فغلبوه فضحك الرب "يهوه" فرحا لأن أبنائه قد صاروا أذكي منه. وكان هذا التشبث بالماديات هو أقوي حافز لهم علي إعلاء الماديات علي الروحانيات وانتصار الجسد علي الروح وبالتالي شيوع القيم المادية النفعية التي تقود ببطء وهدوء إلي تفضيل الشخص لذاته علي ما كل عداها وهو بداية الطريق نحو إنكار الآخر وإعلاء قيمة الذات وما يتصل بها من قيم نفعية.

المصادر والمراجع

المصادر الأدبية

الكتاب المقدس

-Babylonian Talmud, Sabbath 33b. from Translation of M. Haddas, Philological Quarterly, VII, 1939, 373.

-Babylonian Talmud, (1935-1948), The Babylonian Talmud followed by the name of the Tractate, English edition, I. Epstein.

-Dio Cassius, "1921-1929", Dio' s Roman History, Translated by Cary, E., in 9 Vols, LCL, London.

-Eusebius, (1937), Historia Ecclesiatisca, Translated by Kirsopplake and Oulton, J., in 2 Vols, LCL, London.

-Herodotus, (1983), Translated by, de Selincourt, The Histories, The Penguin Classics, London.

-Josephus, (1928), Translated by Thakeray, H. St. J., The Complete Works , in 8 Vols, LCL, London.

-Josephus, (1969), The Jewish War, Translated by, Williamson, G.A., The Penguin Classics, London.

-Juvenal, (1982), The Sixteen Satires Translated by, Peter Green, The Penguin Classics, London.

-Suetonius, (1957), Translated by Robert Graves, The Twelve Caesars, The Penguin Classics, London.

-Tacitus, (1980), Translated by K. Wellesley, The Histories, The Penguin Classics, London.

-Tacitus, (1985), The Agricola and The Germania , Translated by H. Mattingly, The Penguin Classics, London.

-Thucydides, (1985), History of the Peloponnesian War, Translated by, M.I. Finley, The Penguin Classics, London.

المصادر غير الأدبية

ILS. Vol. VI, 944 = Dessau. 264, P.Hib. 215.

المراجع

1-المراجع باللغة العربية

- إبراهيم نصحي، (1988)، تاريخ مصر في عصر البطالمة ـ 4 أجزاء، ط 6، مكتبة الأنجلو المصرية ـ القاهرة.
- أدولف إيرمان، (1962)، ديانة مصر القديمة ـ ترجمة عبد المنعم أبو بكر، راجعه د. محمد أنور شكري، دار مصر للطباعة.
- أرنولد توينبي، (1963)، تاريخ الحضارة الهيللينية، ترجمة رمزي عبده جرجس راجعه د. محمد صقر خفاجة،

الإدارة العامة للثقافة بوزارة التعليم العالي، القاهرة.

- تارن، و. و. (1966)، الحضارة الهيلينستية، ترجمة/ عبد العزيز جاويد، مراجعة، ذكى على، سلسلة الألف كتاب،

مكتبة الأنجلو المصرية.

- تشارلز وورث، (1999)، ت. رمزي عبده جرجس مراجعة د. محمد صقر خفاجة، الإمبراطورية الرومانية، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة.
- جلانفيل داوني، (1967)، ترجمة إبراهيم نصحي، أنطاكية القديمة، دار نهضة مصر القاهرة.
- جورج سارتون، (1978)، ترجمة لفيف من العلماء، تاريخ العلم، 6 أجزاء، دار المعارف، القاهرة.
- جيمس فريزر، (1982)، ترجمة نبيلة إبراهيم، الفولكلور في العهد القديم، جزأين، دار المعارف، القاهرة.
- دونالد ريدفورد، (2004)، ترجمة، بيومي قنديل، مصر وكنعان و إسرائيل في العصور القديمة، منشورات المجلس الأعلى للثقافة، المشروع القومي للترجمة، القاهرة.
- ديفيد لاندو، (1994)، ترجمة مجدي عبد الكريم، الأصولية اليهودية، مكتبة مدبولي، القاهرة.

obeikandl.com

ـ رشاد الشامي، (1986) الشخصية اليهودية الإسرائيلية والروح العدوانية، سلسلة عالم المعرفة، العدد 102، الكويت.

ـ رشاد الشامي، (1994)، القوي الدينية في إسرائيل بين تكفير الدولة ولعبة السياسة، سلسلة عالم المعرفة، العدد 186، الكويت.

ـ رشاد الشامي (1997)، إشكالية اليهود في إسرائيل، سلسلة عالم المعرفة، العدد 186، الكويت.

ـ ريجينا الشريف، (1985) ترجمة أحمد عبد الله، الصهيونية غير اليهودية، جذورها في الفكر الغربي، سلسلة عالم المعرفة، العدد 96، الكويت.

ـ سليم حسن، (1994)، مصر القديمة، 16 جزء، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة.

ـ سيجموند فرويد، (1983)، الطوطم والمحرم دار الطليعة، بيروت.

ـ سيجموند فرويد، (1984)، موسى والتوحيد دار الطليعة، بيروت.

ـ سيد محمد غنيم، (1973)، سيكولوجية الشخصية، محدداتها وقياسها و نظريتها، ط. 1، دار النهضة العربية، القاهرة.

ـ عبد الحميد زايد، (1967)، الشرق الخالد، مقدمة في تاريخ وحضارة الشرق الأدنى من أقدم العصور حتى عام 323 ق. م.، دار النهضة العربية، القاهرة.

ـ عبد اللطيف أحمد علي، (1993)، مصر و الإمبراطورية الرومانية في ضوء الأوراق البردية، طبعة منقحة، دار النهضة العربية، القاهرة.

ـ عبد العزيز صالح، (1988)، تاريخ وحضارة الشرق الأدنى القديم، 4 أجزاء، ط. 3، مكتبة الأنجلو المصرية.

ـ عبد الوهاب المسيري، (1982)، الأيدلوجية الصهيونية، دراسة حالة في علم اجتماع المعرفة، سلسلة عالم المعرفة، العدد 60، الكويت.

ـ عبد الوهاب المسيري، (1982) الأيدلوجية الصهيونية، دراسة حالة في علم اجتماع المعرفة، سلسلة عالم المعرفة، العدد 60ـ61، الكويت.

ـ عبد الوهاب المسيري، (1997)، الصهيونية والنازية ونهاية التاريخ، دار الشروق القاهرة.

ـ عبد الوهاب المسيري، (2000)، اليد الخفية، دراسة في الحركات اليهودية الهدامة والسرية، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة.

obeikandl.com

ـ فرج أحمد فرج، التحليل النفسي والأدب، دراسة في تحليل المحتوي لقصة يائيل ديان، "طوبي للخائفين"، القاهرة بدون تاريخ أو دار نشر.

ـ قدري حفني، (1993)، دراسة في الشخصية الإسرائيلية، الأشكنازيم، مكتبة مدبولي القاهرة.

ـ كيت وايتسلام، (1999)، ترجمة سحر الهنيدي، اختلاق إسرائيل القديمة، إسكات التاريخ الفلسطيني، سلسلة عالم المعرفة، العدد 249، الكويت.

ـ محمد أحمد النابلسي، (2004)، "يهود يكرهون أنفسهم، محاكم التفتيش الصهيونية بين معاداة السامية ولا سامية الأنا" دار الفكر بيروت، دمشق.

ـ محمد حمدي إبراهيم، (2005)، سيرة حياة "فلافيوس يوسف، 37ـ بعد عام 100 م."، المجلد الأول، المكتب المصري لمطبوعات، القاهرة.

ـ محمود السعدني، (1994)، يوسف والقدس، دراسة تحليلية في المنهج لكتابه الحادي عشر من الآثار اليهودية،

ـ محمود السعدني، (1991)، نيرون واليهود، قراءة في حوليات تاكيتوس، أوزيريس مجلة الدراسات الإيطالية المصرية، العدد الأول، ص ص. 33ـ47.

ـ مصطفي العبادي، (1966)، مصر من الإسكندر الأكبر حتى الفتح العربي، مكتبة الأنجلو المصرية ـ القاهرة.

ـ مصطفي كمال عبد العليم، (1960)، اليهود في مصر في عصري البطالمة والرومان، رسالة دكتوراه منشورة، قسم التاريخ، كلية الآداب، جامعة عين شمس.

ـ مصطفي كمال عبد العليم، (2000)، تحرير عرفة عبده علي، اليهود في مصر منذ عهد الفراعنة، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة.

ـ نفتالي لويس، (1994)، مصر الرومانية، ترجمة فوزي مكاوي، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة.

ـ نيقولا جريمال، (1991)، ت. ماهر جويجاتي، مراجعة زكية طبوزادة، تاريخ مصر القديمة، دار الفكر العربي، القاهرة.

ـ هارولد أيدرس بل، ترجمة عبد اللطيف أحمد على، (1959)، الهيللينية في مصر: من الإسكندر الأكبر حتى الفتح العربي، دار المعارف ـ القاهرة.

ـ هول، ك. و لندري، ج.، (1971)، ترجمة د. فرج أحمد فرج و د. قدري حفني محمود، لطفي محمد فطيم، مراجعة د. لويس مليكة، نظريات الشخصية، الهيئة المصرية العامة للتأليف والترجمة والنشر، القاهرة.

ـ والاس بدج، (1998)، ترجمة محمد حسين يونس، آلهة المصريين، مكتبة مدبولي، القاهرة.

ـ وهيب كامل، (1957) يونانيس في مصر، مجلة الجمعية المصرية للدراسات التاريخية العدد السادس.

ـ ياسين سويد، (1998)، التاريخ العسكري لبني إسرائيل من خلال كتابهم، (قراءة جديدة للعهد القديم)، الجزء الأول، بيروت.

2-المراجع غير العربية:

-Alston, R., (1995), Soldier and Society in Roman Egypt, "a Social History", Routledge, London.

-Austin, M., (1981),The Hellenistic world from Alexander to Roman Conquest, Cambridge.

-Barrett, C.K., (1987), The New Testament Background, Selected Documents Revised

Edition, 2nd ed. London.

-Bell, H.I., (1924), Jews and Christians in Egypt, The Jewish Troubles in Alexandria and the Athanasian Controvery, London.

-Bell, H.I., (1948), Popular Religion in Graeco-Roman Egypt, The Pagan Period, JEA, 34: 89-97.

-Bowman, A.K., (1971), The Town Council of Roman Empire, London.

-Bowman,A.K., 1990, Egypt after The Pharaohs '332B.C.-A,D.642' from Alexander The great to The

Arab Conquest, B.M. Publications,London.

-Brunt, B.A., (1975), The Administrators of Roman Egypt, JRS 65, pp.124-147.

-Bury, J.B., (1906), History of Greece "to the death of Alexander the great, London.

-Carson, R., (1962), Coins Ancient Medieval and Modern, GBR.

-Charles, R., (1913), The Apocrypha and Psuedoepigraphia of the Old Testament, Oxford.

-Daniel, R., (1979), Notes on the Guilds and Army in Roman Egypt, BASP. 16. pp. 37: 64.

-El-Abbadi, M., (1965), The Edict of Tiberius Julius Alexander" Remarks on its Nature and aim,

BIFAO, 65, pp.217-226.

obeikandl.com

-Gilman, S.L., (1990), Jewish Self-Hatred, Anti-Semitism and The Hidden Language of the Jews,

London.

-Johnson, A., Abbott, F.F., (1924), Municipal Administration in the Roman Empire. Oxford.

-Johnson, A., (1936), Roman Egypt, to the reign of Diocletian, Princeton .

-Jones, A.H.M., (1937), The Cities of the Eastern Roman Provinces. London.

-Klingman, W., (1990), The First Century, Emperors, Gods and Everyman, London.

-Levick, B., (1987), The Government of the Roman Empire "A source Book, London.

-Lewis, N., Rienhold, M., (1990), Roman Civilization "Selected Readings Edited with an Introduction and notes, Vol.I. New York.

-Mary Smallwood, E., (1976), The Jews under Roman Rule, Leiden.

-Meijer,F., (1992), Trade, Transport and Society in the Ancient World, New York.

-Milne J.G, (1914), A History of Egypt under Roman Rule, London.

-Mommsen , Th., (1896), The Provinces of the Roman Empire, London.

-Orlinsky, H.M., (1964), Ancient Israel, New York.

-Petrie, W.F.M., (1922), Measure and Weights, London.

-Reinmuth, O., (1967), A Working List of the Prefects of Egypt 30B.C. To 299A.D., BASP.4, pp.75-128.

-Scullard, H.H., (1986), From The Gracchi to Nero, A History of Rome from 133 B.C. to A.D. 68, London.

-Seltzer, R. M., (1980), Jewish People, Jewish Thought, The Jewish Experience in History, New York.

-Thakeray, H. St. J., (1929), Josephus, The Man and the Historian, New York.

-Taubenschlag, R., 1955 , The Law of Graeco Roman Egypt in The Light of The Papyri, Warsaw.

-Tcherikover, V., 1963, The Jews in Egypt in the Hellenistic-Roman in the light of the Papyri, Jerusalem.

-Turner, E.G., (1954), Tiberius Julius Alexander, JRS, 44, pp.12-23.

-Wallace, Sh. L, (1938), Taxation in Egypt"from Augusts to Diocltain"London.

-Yadine, I., (1966), Massada; Herod's Fortress and the Zealots' Loststands, Translatedby, Pearlmann, M., London.

الهوامش:

(1) بدج، (1998)، ص ص. 301ـ320، جريمال، (1990)، ص ص. 363ـ364، إيرمان، (1997)، ص ص. 329، 331، 337، 342ـ343، صالح، (1988)، ص. 193.

(2) صالح، (1988)، ص. 281 جريمال، (1990)، ص. 436، . **Stele de la Victoire Hdt. II, 100, 136, 141, 8-14**

(3) Thuc. III, 47-48, Bury, J.B., (1906), pp.505-506.
(4) Plut. Ti. Gracchus, 19, 20.
(5) Plut. M. Antony, 19-20.
(6) Gilman, S.L., (1990), p.2.

(7) تكوين، 44، 15. راجع: دونالد ريدفورد، (2004)، ص ص. 644ـ645.

(8) يقدم العمل الفذ الذي ألفه: "جيمس فريزر"، في القرن التاسع عشر، وتم ترجمته للعربية، وتكررت طباعته أكثر من مرة بلغات عديدة، تفسيرا لما ورد في الكثير من نصوص العهد القديم من التحريفات، بشكل علمي فريد، راجع: "جيمس فريزر"، (1982).

(9) كان هذا التعبير يطلق "تاريخيا" علي مناطق تمتد بمحاذاة ساحا البحر المتوسط من الشمال إلي الجنوب وتشمل المناطق الواقعة شمالا من الجليل والسامرة وبيرايا وجودايا وأرض الأدوميين حتي أورشليم والبحر الميت والماسادا جنوباً.

(10) صموئيل أول، 28، 1ـ2، جيمس فريزر، (1982)، ص ص. 8ـ9.

(11) صموئيل أول، 31.

(12) ملوك أول، 12، 11، ملوك ثاني، 17، 34.

(13) عبد الحميد زايد، (1967)، ص ص. 392ـ393، دونالد ريدفورد، (2004)، ص. 491

(14) عن اللعنات التي صبها الرب "يهوه والأنبياء علي الشعب اليهودي: راجع علي سبيل المثال أسفار: العدد، 14، 10، 20ـ38، التثنية، 1، 34ـ40، 9، 15ـ24، 13، 28، 15ـ68، القضاة، 1ـ21، ملوك ثاني، 17، 34.

(15) تارن، (1963)، ص ص. 225ـ226.

(16) تارن، (1963)، ص. 234.

(17) Bevan, E., (1914), p.33.

(18) عن هذه الجماعات راجع: **Josephus, Jewish War, II, 109-123.**

(19) Josephus, Vitae, 17.

(20) راجع: محمود السعدني، (1991)، ص ص. 33ـ47.

(21) Cf. OCD. Josephus, Thakeray, H.St.J., (1967), Josephus, (1969), Lewis, N., Rienhold, M., (1990), محمود السعدني، (1994)، ص ص.

(22) وهي من أدبيات الكتاب اليهود تم وضعها بالآرامية والعبرية ونقلت إلي اللغة الإغريقية، يقوم فيها اليهود بنقد الأوضاع الظالمة التي يحيون فيها، لكنهم يبشرون الشعب اليهودي بمستقبل أفضل، وكانت لفترة من الوقت تشكل جزء من التوراة، لكن لم يُعترف بقدسيتها في عصر لاحق فحذفت منها، وهي مدونة علي حدة، ويدور حولها اختلاف بين مختلف الطوائف المسيحية، حيث يعترفون ببعضها وينكرون البعض الآخر، أو يعترفون بأجزاء منها دون الأخرى، ومنها أسفار المكابيين الخمسة والجامعة وأخنوخ ويشوع بن سيراخ، راجع: جورج سارتون، (1978)،ج. 5، ص ص. 41ـ55. **Charles, R., (1913)**

(23) Thakeray, H. St. J., (1967), p.51-74.
(24) Cf. OCD. Josephus, Thakeray, H.St.J., (1967), Josephus, (1969), جورج سارتون، (1978)،ج. 5، ص. 50.

(25) Josephus, (1969), p.183.
(26) Josephus, (1969), pp. 29, 31, 38, 45, 56, 66, 72, 75, 81, 97, 121, 122, 139, 142, 169, 177, 183-185, 187, 192, 203, 211, 217, 261, 262, 271, 287, 288, 294, 307, 308, 347, 360, 368, 379, 381, 391-394.
(27) Cf. Josephus, (1928).
(28) Thakeray, H. St. J., (1929), p.1.
(29) Cf. OCD. Josephus.

(30) ينبغي هنا توجيه الشكر إلي العالم الجليل أ. د. محمد حمدي إبراهيم، علي ما قدمه لي من نصائح وتوجيهات مفيدة في المراحل النهائية لهذا البحث كان لها أكبر الأثر في تعميق فهمي للعديد من النقاط الغامضة، ولعل ترجمته البديعة لسيرة حياة "يوسفيوس" الصادرة منذ شهور قلية هي من أهم المصادر التي أغنت هذا البحث وجعلتني أُعيد كتابته من البداية وهذا الكتاب بلا شك سيكون ذا فائدة عظيمة للعديد من المتخصصين في أكثر من فرع من فروع الدراسات الإنسانية.

(31) سيرة حياة يوسيفوس، ترجمة، حمدي إبراهيم، (2005)، الفصل 65، الفقرة 336ـ367.

(32) سيرة حياة يوسيفوس، ترجمة، حمدي إبراهيم، (2005)، الفصل 9، الفقرة 36ـ42،

(33) ثم الرجوع بشكل أساسي في تعقب النصوص التي سوف ترد مُترجمة في هذا العمل إلي ترجمة أعمال "يوسف" الكاملة من مجموعة "**LCL**". بالتوازي مع ترجمة مجموعة "بنجوين"، وغيرهما من الأعمال التي تناولت نقد مؤلفات "يوسف".

(34) Josephus, Jewish War, I, 1-7, 21-30.

(35) جلانفيل داوني، (1967)، ص. 123.

(36) Josephus, Anti. Jud., XX, 173.
(37) Josephus, Anti. Jud., XX, 183; Vitae, 25-26.
(38) Josephus, Jewish War, II, 267-270.
(39) Josephus, Jewish War, II, 284.

(40) ويروي "سويتونيوس" أنه قد أعدم بسبب هذه الرشوة فيما بعد، راجع: "**Suet. Vesp. V, 5.**"

(41) Josephus, Jewish War, II, 285-292.
(42) Josephus, (1969), Appendix 8, p. 405.
(43)Josephus, Jewish War, II, 296-315.
(44)Josephus, Jewish War, II, 315-332.

(45) هو بن الملك "أجريبا الأول" تم تعيينه ملكا في عام 50 م. حيث منحه الرومان بعض أجزاء بلاد اليهود ليصير ملكا عليها، راجع: **OCD. Agrippa 2, II.**.

(46) Josephus, Jewish War, II, 333-341.
(47) Josephus, Jewish War, II, 344-401.

(48)جماعة السيكاري هم: جماعة من اللصوص اليهود احترفوا السرقة والقتل وارتكاب الحوادث العنيفة انتشرت إبان الثورة اليهودية الأولي، وهو ما يتضح من معني كلمة "سيكاري" أي "عصابة الخناجر" أو الرجال الذين يحملون الخناجر، وهي الترجمة التي ابتدعها "مصطفي كمال عبد العليم" وهي تسمية موفقة ذلك أن عالما عظيما مثل "**Scullard**" ترجمها باسم "جماعة السكين" وهو خطأ والأصح الترجمة التي قدمها "عصابة الخناجر" وأيدها كاتب يهودي وهو "**Seltzre**"، وأصلها من الكلمة العبرية "سيك" بمعني خنجر راجع: مصطفي كمال عبد العليم، (2000)، ص. 68.

Scullard, H.H., (1986), p. 317, Seltzer, R. M., (1980),p. 187.
(49) Josephus, Jewish War, II, 408-410.
(50) Josephus, Jewish War, II, 411-429.
(51) Josephus, Jewish War, II, 430-440.
(52)Josephus, Jewish War, II, 442-448.
(53) Josephus, Jewish War, II, 484-486.
(54) Josephus, Jewish War, II, 457-480.
(55) Tact. Annals. XV, 6; 25, 5.
(56) Josephus, Jewish War, II, 513, Mary Smallwood, E., (1976), p.296, n.11.
(57) Josephus, Jewish War, II, 499-502.
(58) Josephus, Jewish War, II, 510.
(59) Josephus, Jewish War, II, 513-515.
(60) Josephus, Jewish War, II, 503-512.
(61) Josephus, Jewish War, II, 513-526.
(62) Josephus, Jewish War, II, 527-530.
(63) Josephus, Jewish War, II, 535-541.
(64)Josephus, Jewish War, II, 541-545.

(65) يبدأ "يوسف" اعتبارا من هذا الفصل في استخدام تعبير "المتشددين، **Zealots**" بدلا من تعبير "السيكاري" ليشير به إلي "إليعازر بن شمعون" وأتباعه وكان التعبير الأخير يحوي نقدا ضمنيا، بينما الأول يعد من التعبيرات التي تستخدم للدلالة علي الوطنيين المتدينين الذين يقفون ضد روما وهو تعبير يمتدح المتشددين وهو يماثل تعبير "صليبي، **Crusaders**" أي الذي يحارب لأجل الرب، ويعود غياب تعبير متشدد قبل عام 66 م. إلي أن التعبير لم يكن شائعا قبل نجاح حركة العصيان هذه في طرد الرومان والاستيلاء علي المدينة المقدسة "أورشليم". ويبدو أن المتشددين بعقليتهم الدينية كانوا من البداية مختلفين عن "السيكاري"، الذين كان يقودهم "مناحم" وعائلته والذين كانوا يتركزون في "أورشليم" وقد بدا المتشددون في القتال الذي جري ضد "جاللوس" أفضل استعدادا وتنظيما راجع: **Mary Smallwood, E., (1976), p.299.**

(66) Cf. Josephus, Jewish War, II, 562.
(67) Josephus, Jewish War, II, 648, 651.
(68) Josephus, Jewish War, II, 566-568, Mary Smallwood, E., (1976), p.300.
(69) Josephus, Vitae, 17-23.
(70) Josephus, Vitae, 79.
(71) Josephus, Vitae, 46-61.
(72) Josephus, Jewish War, II, 632-645, Josephus, Vitae, 155-178.
(73) Josephus, Vitae, 71-72.
(74) Josephus, Jewish War, II, 584-592,
(75) Josephus, Vitae, 84- 96; 145- 148.
(76) Josephus, Jewish War, II, 595-610.
(77) Josephus, Jewish War, II, 611-615.

(78) راجع: سيرة حياة يوسيفوس، ترجمة، حمدي إبراهيم، (2005)، الفصل 30، الفقرة147.

(79) Josephus, Jewish War, II, 616-619.

(80) لا يتضح علي وجه اليقين من هم المقصودين بالسوريين هنا، وهل هم فئة من اليهود وهو الرأي الأرجح إذ يصعب أن يخرج علي الرومان هذا العدد الكبير من أهل سوريا لكي يقاتلوا تحت قيادة اليهود، وذلك بالنظر إلي العداء القديم المستحكم بين الشعبين.

(81)Josephus, Jewish War, II, 620-630.
(82) Josephus, Vitae, 271- 275.
(83) Josephus, Jewish War, II, 631-634.

(84) يعني "يوسف" هنا بحيرة طبرية فالمسافة بينه وبين البحر المتوسط كانت كبيرة.

(85) Josephus, Jewish War, II, 635- 645.

(86) سيرة حياة يوسيفوس، ترجمة، حمدي إبراهيم، (2005)، الفصل 33، 167ـ الفصل 34، 173.

(87) Josephus, Jewish War, II, 635- 654.
(88) Josephus, Jewish War, III, 1-15.
(89) Josephus, Jewish War, III, 16-31; 48.
(90) Josephus, Jewish War, III, 48-65.
(91) Alston, R., (1995), p.164.
(92) Josephus, Jewish War, III, 66-70.
(93) Josephus, (1969), p.185.

يري "وليامسون" أن هذا العدد مبالغ فيه مثله مثل عدد القتلى في "أسكالون" التي دار القتال حولها قبل حضور فسباسيانوس مباشرة.

(94) Josephus, Jewish War, III, 70-135.
(95) Josephus, (1969), p.187.
(96) Josephus, Jewish War, III, 136-8.
(97) Josephus, Vitae, 17-23.
(98) Josephus, Jewish War, III, 139-141.
(99) Josephus, Jewish War, III, 193-208.
(100) Josephus, Jewish War, III, 318-321.
(101) Josephus, Jewish War, III, 322-351.
(102) Josephus, Jewish War, III, 352-356; Josephus, Vitae, 208- 212.

(103) مصطفي كمال عبد العليم، (2000)، ص. 70.

(104) Suet. Vesp. V, 5.
(105) Suet. Vesp. VII, 1- 2, Tacit. Hist. IV, 82, P. Lond. 1912, l. 9, P.Fouad. 8.

(106) عبد اللطيف أحمد علي، (1993)، ص ص. 142ـ143.

(107) Josephus, Jewish War, III, 357-363.
(108) Josephus, Jewish War, III, 364-391.

(109) Josephus, Jewish War, III, 391-394.
(110) Josephus, Jewish War, III, 396-421.
(111) Josephus, Jewish War, III, 422-436.
(112) Josephus, Jewish War, III, 437-440.
(113) Josephus, Jewish War, III, 448-462.
(114) Josephus, Jewish War, III, 491- IV, 2.
(115) Josephus, Jewish War, IV, 14- 16.
(116) Josephus, Jewish War, IV, 52-55.
(117) Josephus, (1969), p.227.
(118) Josephus, Jewish War, IV, 84- 111.
(119) Josephus, Jewish War, IV, 105, 112-120.
(120) Josephus, Jewish War, IV, 130-136.
(121) Josephus, Jewish War, IV, 121-127.
(122) Josephus, Jewish War, IV, 128-154.
(123) Josephus, Jewish War, IV, 162-192.

(124) ورد اللفظ " " ، بمعني مدخل مسقوف "**Portico**" يقع قبل بوابة الهيكل المقدس، وسوف يتم استعمال كلمة مدخل عند الحديث عن هذا الجزء من المعبد في هذا البحث.

(125) Josephus, Jewish War, IV, 193-207.
(126) Josephus, Jewish War, IV, 207215.
(127) Josephus, Jewish War, IV, 216-224.
(128) Josephus, Jewish War, IV, 225-232.
(129) Josephus, Jewish War, IV, 233-269.
(130) Josephus, Jewish War, IV, 270-283.
(131) Josephus, Jewish War, IV, 283-299.
(132) Josephus, Jewish War, IV, 300-313.
(133) Josephus, Jewish War, IV, 314-318.
(134) Josephus, Jewish War, IV, 319-325.
(135) Josephus, Jewish War, IV, 326-333.

(136) وردت في ترجمة "**LCL**" ، "**Baris**" ، أي "باريس" بينما تم ترجمتها في طبعة بنجوين "**Baruch**" أي "باروخ، من الأصل اليوناني "ς " . وباروخ هي الأقرب للنطق العبري السائد.

(137) Josephus, Jewish War, IV, 334-344.
(138) Josephus, Jewish War, IV, 345-354.

(139) وكان حاكما فيما سلف علي بلاد الأدوميين، راجع "**Josephus, II, 520**" ، وشن هجوم فاشل علي الرومان قرب "أسكالون" ، "**Josephus, II, 566**" .

(140) Josephus, Jewish War, IV, 355-365.
(141) Josephus, Jewish War, IV, 366-376.
(142) Josephus, Jewish War, IV, 377-388.
(143) Josephus, Jewish War, IV, 390- 397.
(144) Josephus, Jewish War, IV, 398- 409; 410- 412.
(145) Josephus, Jewish War, IV, 413- 450.
(146) Josephus, Jewish War, IV, 490- 502, Suet. Tit. V, 1, Tacit. Hist., I, X, 3.
(147) Josephus, Jewish War, IV, 503- 508.
(148) Josephus, Jewish War, IV, 509-544.
(149) Josephus, Jewish War, IV, 545-557.
(150) Josephus, Jewish War, IV, 558- 566.
(151) Josephus, Jewish War, IV, 567- 576.
(152) Josephus, Jewish War, IV, 577- 584.
(153) Josephus, Jewish War, IV, 616- 621.
(154) Josephus, Jewish War, IV, 622- 629.
(155) Josephus, Jewish War, IV, 630- 656.
(156) Tacitus , Agricola and Germania , p. 181; Hist. IV, 79-82.
(157) Josephus, Jewish War, IV, 656- 659, Alston, R., (1995), p.164.
(158) Josephus, Jewish War, V, 1-11.
(159) Josephus, Jewish War, V, 12- 21.
(160) Josephus, Jewish War, V, 22- 24.

(161) وحدة قياس أطوال مصرية قديمة تعادل حوالي 52 سم، راجع : **Petrie, W.F.M., (1922), p. 3.**

(162) Josephus, Jewish War, V, 25- 38.
(163) Josephus, Jewish War, V, 39- 36.
(164) Josephus, Jewish War, V, 37- 80.
(165) Josephus, Jewish War, V, 81-105.
(166) Josephus, Jewish War, V, 106- 135; 136- 244.
(167) Josephus, Jewish War, V, 245- 258.
(168) Dio Cass., LXVI, 5, 2-6, Josephus, Jewish War, V, 259- 355.

(169) Josephus, Jewish War, V, 356-368, 369- 399.
(170) Josephus, Jewish War, V, 411-413, Josephus, (1928), vol. III, p. 331.
(171) Josephus, Jewish War, V, 421-456.

(172) اعتاد يوسف أحيانا أن يشير إلي تيتوس باسم "القيصر" وهو ما يعبر عن أن تدوين الكتاب أو ترجمته قد تمت في زمن تالي.

(173) وهو القول الذي تردد في سفر "باروخ" 3، 24، حيث يقول: "آي شعب إسرائيل ما أعظم منزل الرب! وما أرحب المكان الذي يملكه!" وهو السفر الذي تم تدوينه بعد عام 70 م.

(174) Josephus, Jewish War, V, 457- 460.
(175) Josephus, Jewish War, V, 467- 526.
(176) Josephus, Jewish War, V, 527- 533.
(177) Josephus, Jewish War, V, 533.
(178) Josephus, Jewish War, V, 534- 540.
(179) Josephus, Jewish War, V, 541-547.
(180) Josephus, Jewish War, V, 548-566.
(181) Josephus, Jewish War, V, 657- 572.
(182) Josephus, Jewish War, VI, 1- 95; Vitae, 70- 148.
(183) Josephus, Jewish War, VI, 96- 102.

(184) هناك قول أن وحي النبية السيبوللية يسجل أن المدينة المقدسة سوف يتم تدميرها، وأن ذلك سوف يحدث في أعقاب حرب أهلية رومانية، وتؤرخ النبوءة للحدث بعام 80 م. وهو ما يعتبر قريبا من تاريخ الحرب اليهودية. راجع: **Orac. Sibyll. IV, 115 ff.**

(185) Josephus, Jewish War, VI, 109- 111.
(186) Josephus, Jewish War, VI, 112- 128.
(187) Josephus, Jewish War, VI, 129-228.
(188) Josephus, Jewish War, VI, 237- 243, Cf. Dio Cass. LXVI, 6, 2.
(189) Josephus, Jewish War, VI, 244- 322.
(190) Josephus, Jewish War, VI, 323- 355.
(191) Dio Cass. LXVI, 5, 3, Josephus, Jewish War, VI, 356- 434.
(192) Josephus, Jewish War, VII, 1- 36, Wallace, Sh. L, (1938), pp. 170-176.
(193) CIL. VI, 944 = Dessau 246, Cf. Carson, R., (1962), p. 139, pl. 263.
(194) Josephus, Jewish War, VII, 304- 408.

(195) عبد اللطيف أحمد علي، (1993) ص. 146، مصطفي العبادي، (1966)، ص ص. 179ـ180، نفتالي لويس، (1994)، ص. 65. **Bell, H.I., (1924), p.14; (1948), p.93.**

(196) Josephus, Jewish War, VII, 409- 455, Levick, B., (1987),pp. 186-188, Daniel, Robert. W, (1979).

(197) Banylonian Talmud, Gitt., 60b., توينبي، (1963)، ص. 242. تشارلز ورث، (1999)، ص. 60

(198) Eusebius, HE, III, 5, 3.
(199) Banylonian Talmud. Sabb., 33b.
(200) Klingman, W., (1990), pp. 310-318.
(201) Thakeray, (1929), p.17.

(202) سيرة حياة يوسيفوس، ترجمة، حمدي إبراهيم، (2005)، الفصل 70، 390 – 75ـ421. **Thakeray, (1929), p.15.**

(203) سيرة حياة يوسيفوس، ترجمة، حمدي إبراهيم، (2005)، الفصل 75، 416، 76، 429.

(204) P.Hib. 215, Reinmuth, (1967), p.83, Bell, (1924), p.94, Turner, (1954), Brunt, (1975).
(205) Joseph. The Jewish War, V, 46; VI, 230.
(206) Juvenal, I, 30-31, راجع وهيب كامل، (1957)، ص ص. 18ـ19.

(207) Josephus, Jewish War, II, 648, 651.
(208) Josephus, Jewish War, IV, 130-136.
(209) Josephus, Jewish War, IV, 193-207.
(210) Seltzer, R. M., (1980), p. 194.

(211) ديفيد لاندو، (1994)، 223ـ231.

(212) ديفيد لاندو، (1994)، ص ص. 355 – 380، 370ـ372.

(213) لمزيد من التفاصيل راجع الدراسات القيمة التالية: رشاد الشامي، (1994)، (1997)، ريجينا الشريف، (1985)، عبد الوهاب المسيري، (1982)، في جزأين؛ (1997)؛ (2000)، قدري حفني، (1993).

(214) فرج أحمد فرج، (بدون تاريخ نشر)، ص. 23، راجع: محمد أحمد النابلسي، (2004)، **Gilman, S.L., (1990), pp. 2-63.**

(215) هول، ك. و لندري، ج.، (1971)، ص ص. 61ـ62، سيد محمد غنيم، (1973)، ص ص. 581ـ584.

(216) هول، ك. و لندري، ج. ، (1971)، ص ص. 61ـ62.

(217) راجع: سيجموند فرويد، (1983)؛ (1984)، **Cf. Josephus, Contra Apion,** .

(218) Cf. Babylonian Talmud.

obeikandl.com